قصص عن القائد
كيم جونغ ايل

١

قصص عن القائد
كيم جونغ ايل

١

دار النشر باللغات الاجنبية
بيونغ يانغ ، كوريا
١٠٢ زوتشيه (٢٠١٣)

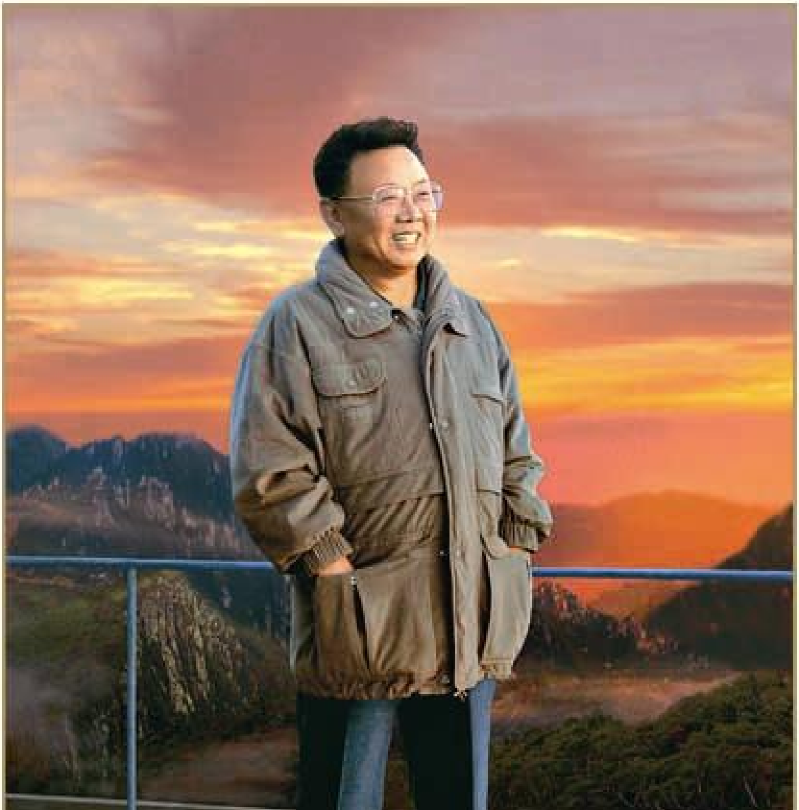

البيت الواقع فى معسكر بايكدوسان السرى،
حيث ولد القائد كيم جونغ ايل

القائد كيم جونغ ايل اثناء دراسته فى جامعة كيم ايل سونغ

القائد كيم جونغ ايل ينزل الى عمق النفق بعربة الركاب،
اثناء زيارته الى منجم كومدوك (تموز عام ١٩٧٥)

القائد كيم جونغ ايل يتفقد مقبرة الشهداء الوطنيين (ايلول عام ١٩٩٨)

بوابة مقبرة الشهداء الوطنيين

القائد كيم جونغ ايل يعبر عن
اسمى احترامه امام نصب الاشارة
الى التوجيهات الميدانية للرئيس
كيم ايل سونغ، القائم على جبل
زيهى (نيسان عام ١٩٩٧)

القائد كيم جونغ ايل يتفقد ممثلية بانمونزوم للجيش
الشعبى الكورى (تشرين الثانى عام ١٩٩٦)

القائد كيم جونغ ايل يتفقد مخفر دايدوكسان
(آذار عام ١٩٩٦)

القائد كيم جونغ ايل يلتقى الرئيس كيم داى جونغ الذى جاء الى
بيونغ يانغ للقاء قمة الشمال والجنوب (حزيران عام ٢٠٠٠)

القائد كيم جونغ ايل يتبادل التحية مع دينغ ينغ تشاو، رئيسة اللجنة الوطنية للمجلس الاستشارى السياسى للشعب الصينى (حزيران عام ١٩٨٣)

القائد كيم جونغ ايل يضع اكليلا من الزهور امام ضريح لينين (آب عام ٢٠٠١)

القائد كيم جونغ ايل يتجول فى الكنيسة الارثوذكسية فى مدينة خابارفسك

القائد كيم جونـغ ايل يشاهد الخيول من صنف اورولـوف الاصـيل، التـى ارسلها رئـيس الاتحـاد الروسـي فولاديميـر فولاديميرفيتش بوتين، كهدايا اليه (شباط عام ٢٠٠٣)

القائد كيم جونغ ايل يلتقى مادلين اولبرايت، وزيرة
الخارجية الامريكية (تشرين الاول عام ٢٠٠٠)

قصص عن القائد كيم جونغ ايل (١)

يعبر كثير من الناس في العالم عن أسمى آيات احترامهم للقائد كيم جونغ ايل، اذ انه المفكر والمنظر الذي قام بتنهيج فكرة زوتشيه، فكرة سونكون (اعطاء الاولوية للشؤون العسكرية)، باعتبارها المثل الهادية العظيمة في عصر الاستقلالية، ووضعها فى نظام متكامل جامع، وعمل على تعميقها وتطويرها. وبفضله، جاءت اجابات واضحة متكاملة لكافة المسائل النظرية والتطبيقية الناشئة في صياغة مصير الانسان، وازدهار البلاد والامة وزيادة منعتهما وتطورهما، وبناء مستقبل رائع للشعوب.

وبقدرته القيادية الخارقة، حول كوريا الى بلد يتحد فيه الجميع بقلب واحد، بما لم يسبق له مثيل في تاريخ السياسة العالمى، والى قلعة منيعة للاشتراكية، لا يتجرأ اى عدو إمبريالي عات على المساس بها. تنفتح في كوريا حاليا بوابة الدولة الاشتراكية القوية والمزدهرة، حيث تبرز قدراتها الوطنية قوية وتزدهر كل الاشياء ويعيش الشعب بسعادة، دون ان يشتهى شيئا في العالم.

لقد أعجب الناس بما يتحلى به من المحبة الانسانية، والواجب الاخلاقى السامى، والفطنة الخارقة، والمعارف الوافرة، والايمان الفولاذى والارادة الصلبة، والجرأة منقطعة النظير، والعزيمة الراسخة.

حقا ان صفحات حياة القائد كيم جونغ ايل، الممتدة الى سبعين سنة، غنية بالقصص الاسطورية للرجل العظيم البارز. ويسرّ هيئة التحرير ان تنشر في هذا الكتاب جزءا من تلك القصص الكثيرة.

فهرس

١) العجائب

بركة من السماء ١

الرقم ٤٢ وجبل بايكدو ٢

جبل بايكدو يعرف صاحبه ٣

ضباب في بانمونزوم ٤

"يا لها من غرابة" ٥

الطقس يعرف الرجل العظيم ٦

رجل يحمل معه اشعة الشمس ٧

٢) الفطنة

السؤال الموجه اليه ٩

خلاف انتقل الى قرن ١٠

فلسفة زوتشيه والفلسفة الانسانية ١١

صيد النورس حيا ١٣

فراسة فى معرفة الدجاج لاول وهلة ١٥

اغنية انشدوها بثلاث لغات ١٦

شكل جديد من المجموعة الروائية ١٧

ابحث عن فورتى ١٨

التنبؤ الحكيم ٢٠
من هو اشهر الجنرالات ٢١
مفهوم جديد عن عيد الاول من ايار ٢٣
اسلوب فريد للكتابة ٢٥
دقات الجرس في الكنيسة الارثوذكسية ٢٦
الشمس والفجر ٢٨
اللاتناهى ٢٩
حل اللغز ٣٠
تعجب العلماء.. ٣١

٣) العمل المتفانى

رغم دوى الرعد.. ٣٣
موقع الصيد بالصنارة في موفو ٣٤
التفكير المجسم ٣٥
شكوك أحد الكوادر ٣٦
حتى الى اعماق النفق البعيدة.. ٣٨
شق درب التسلق على جبل ميوهيانغ ٤٠
١٥٢ منعطفا في جبل اوسونغ ٤١
سيارة الميدان المغطاة بالثلوج ٤٣
موقع الدوش الذى لا ينساه ٤٥
الظهور كالبرق في الشرق والغرب ٤٦
حساب عدد القطارات ٤٨

القطار والبيت ٤٩

٤) المحبة

فتاة تجمع الاصداف ٥١
من اجل ثلاثة عمال منجم فحم ٥٢
نجاة التوائم الثلاثة ٥٤
ملابس الجنود المبطنة بالقطن ٥٦
ضوء المحبة ٥٧
ابنائى وبناتى ٥٨
عالم الطبقة العاملة ٥٩
عذرا للعمال ٦٠
تلاشى صفارة القطار ٦١
الوجه الجميل للأم ٦٣
"بومهيانغكى" (عبق الربيع) في عيد الثامن من آذار ٦٥
اطلاق اسم على طفل قريب الولادة ٦٦
ابقاء الفراغ ٦٨
الحب يتجاوز الجدار ٦٩
"سايبيول" ٧١
استعادة "ربيع الفتاة" ٧٢

٥) الواجب الاخلاقى

المعلم المحترم ٧٤

شاهد العيان على العمليات الجراحية ٧٥
وسط وابل من الامطار ٧٧
لا تنسوا الشهداء ٨٠
عودة الناس ٨٢
الموقف الثابت ٨٤
الى الاعلى دائما ٨٥
تحية الاحترام المقدمة من خط الجبهة الامامى ٨٧
إبكاء الكادر ٨٨
الى ف. اى. لينين ٨٩

٦) التواضع

زهرة القطن ٩٢
حصيرة الزهور وحصيرة الإبر ٩٣
ابن الشعب ٩٥
اكبر ازعاج له ٩٥
انتظار دوره ٩٨
راكب القطار العام........ ١٠٠
خيبة الامل "للمبعوث الخاص" ١٠٢
المرسوم الصادر بعد ثلاث سنوات ١٠٣

٧) الارادة

شجرتا الصنوبر الجوزى ١٠٦

موضع الحب والكره ١٠٧
اعلان ذلك اليوم ١٠٨
"سأمجدك، يا كوريا" ١١٠
أ انت اديب ام عسكرى؟ ١١١
لنرفع علمنا الاحمر عاليا ١١٢
وداعا لعام دموع الدم ١١٣
الرئيس الابدى ١١٥
"اله الحرب" ١١٦
الشجرة العملاقة والجذور ١١٨

٨) الجرأة

قبضة اليد القوية.. ١٢٠
لا يمكن ارجاع سفينة "بويبلو" ١٢١
فلنكرم الجنود البواسل ١٢٢
الحرب والموسيقى ١٢٤
السيور الناقلة الممتدة وسط البحر ١٢٥
مباراة كرة القدم غير المسبوقة ١٢٧
الخطوط البحرية غير المصورة ١٢٩
اوامر القائد الاعلى ١٣٠
لا نتفوه بكلام فارغ ١٣٢
اطلاق "كوانغميونغسونغ رقم ٢" !.. ١٣٤

٩) الفتنة

زهرة كيم جونغ ايل ١٣٦
تعجب سوكارنو ١٣٨
دموع دينغ ينغ تشاو ١٣٩
تعجب ياجوف ١٤١
صراحة كيم داى جونغ ١٤٣
بروش اولبرايت ١٤٤
هدايا من بوتين ١٤٦

١) العجائب

بركة من السماء

ولد القائد كيم جونغ ايل على جبل بايكدو، الذى كان نقطة ارتكاز للنضال المسلح المناهض لليابان، الذى نظمه وقاده والده الرئيس كيم ايل سونغ، حين وقعت كوريا تحت براثن الاحتلال العسكرى اليابانى.

كان ذلك في يوم ١٦ من شباط عام ١٩٤٢.

بناء على تحليل المعطيات التى سجلها علماء الطقس عن الارصاد الجوية في منطقة جبل بايكدو منذ مائة عام تقريبا، كان الطقس في ذلك اليوم غريبا وعجيبا لا يمكن اعتبار ذلك الا سرا من السماء. ورد في المعطيات ان هذه المنطقة، وهى اعلى مكان في كوريا، غالبا ما تنخفض درجة الحرارة الجوية فيها لاربعين درجة مئوية تحت الصفر، وتعصف بها رياح ثلجية مزمجرة في اواسط شهر شباط في كل عام. والحالة في يوم ١٥ من شباط فى ذلك العام ايضا، لم تكن استثنائية.

ولكن فى الليلة التى سبقت يوم ولادته، أى الخامس عشر على السادس عشر من شهر شباط، أخذت الرياح الشمالية الغربية تتضاءل تدريجيا، حتى هدأت في فجر يوم ١٦، وارتفعت درجة الحرارة ايضا من ادناها وهى ٢٩ درجة تحت الصفر، الى ١٨ درجة تحت الصفر.

حقا ان الطقس فى ذلك اليوم في منطقة جبل بايكدو كان منعشا عجيبا،

يتميز بأشعة الشمس المشرقة والاجواء الصافية، كما لو ان السماء ايضا تبارك ميلاد القائد كيم جونغ ايل.

الرقم ٤٢ وجبل بايكدو

يقع جبل بايكدو حيث ولد القائد كيم جونغ ايل، على خط العرض ٤٢ درجة شمالا، اى انه يتفق مع عام ٤٢ من القرن الماضى، عام مواليد القائد. يا لمحاسن الصدف! إن القصص التى يحملها جبل بايكدو، لها معنى عميق جدا.

منذ العصور القديمة، كان جبل بايكدو يسمى بجبل الاجداد للامة الكورية بكونه اعلى جبل في كوريا (ارتفاعه ٢٧٥٠ مترا)، ينتصب بشموخ مغطى بثلوج بيضاء على مدار السنة. وحين ولد القائد، كان على هذا الجبل، مقر قيادة الجيش الثورى الشعبى الكورى بقيادة الرئيس كيم ايل سونغ، الذى خاض نضالا مسلحا لتحرير كوريا من الاحتلال العسكرى اليابانى (١٩٠٥ ـ ١٩٤٥).

ترعرع كيم جونغ ايل، وهو يستمع الى لعلعة البنادق والمدافع في الحرب المناهضة لليابان، وكأنها أغنية المهد. كان اول ما اعتاد عليه بصره، هو صورة الأم بالزى العسكرى، و"زملاؤه عند الطفولة" هم المناضلون الملطخون بدخان المدافع. كانت سلسلة قمم بايكدو الوعرة اشبه بفناء بيت مولده.

ومثلما يمضي القول المأثور بأن الانسان يشبه موطنه، كذلك يعتبر القائد كيم جونغ ايل، صنوا لجبل بايكدو. ان شموخ جبل بايكدو الذى يعانق في احضانه مئات القمم الشاهقة، ويحمل على رأسه بحيرة كبيرة، وما يحدث في اركانه من الظواهر الطبيعية العجيبة، التى تخلب ألباب

الناس، تعتبر كل خصائصه هذه رمزا لما يتحلى به القائد من الطموحات العظيمة، والبصيرة النافذة، والجرأة الصلبة، والارادة الراسخة، وسعة الصدر اللامتناهية، والقدرة القيادية المتكاملة.

جبل بايكدو يعرف صاحبه

حدث ذلك، عندما كان القائد كيم جونغ ايل يصعد جبل بايكدو، ذات مرة.

كان الطقس في ذلك اليوم مكفهرا وقاسيا. هبت عاصفة ثلجية، ملأت السماء والارض، حتى استعصى النظر امام المرء مباشرة. وبفعل الرياح الشديدة، تكدست كومة ثلجية في لمح البصر، لتسد الطرقات.

وقف المرافقون أمامه، قائلين انه يصعب تسلق جبل بايكدو في مثل هذا الطقس، ويستحيل كذلك التمتع بمشاهدة المناظر المنشودة حتى وان تم صعوده. لكنه واصل شق الطريق في مقدمتهم، مشيرا الى ان المناضلين الثوريين المناهضين لليابان، كانوا يمشون على مثل هذه الطرق في الماضى، وذلك هو التفقد الواقعى لجبل بايكدو.

واخيرا، صعد القائد جبل بايكدو مع مرافقيه، وتأمل العواصف الثلجية التى تزمجر في كبد السماء، ويداه على خاصرته. في ذلك الحين، سمع، ويا للغرابة، صوت مدو من بحيرة تشون فوق الجبل وكأن الجليد يتشقق على حين غرة، ثم همدت العواصف الثلجية المزمجرة. واندفعت جانبا تلك الغيوم الثلجية التى كانت تغطى منتصف الجبل، واشرقت الشمس بشعاعها الذهبى على الارض. فتراءت المناظر الثلجية المهيبة، وتلألأت قمم الجبل بأشكال عجيبة تحت أشعة الشمس. لم يتمالك المرافقون أنفسهم من غرابة المناظر، مطلقين الهتافات، وقال القائد مبتسما: يبدو ان جبل بايكدو يعرف صاحبه.

ضباب في بانمونزوم

في الصباح الباكر لأحد الايام من تشرين الثانى عام ١٩٩٦، تفقد القائد كيم جونغ ايل، بانمونزوم الواقعة على خط الفصل العسكرى الذى يقسم شبه الجزيرة الكورية الى الشمال والجنوب. انه لأمر يفوق تصور الناس ان يزور القائد هذا المكان، في ظل ظروف استدامة المجابهة العسكرية بين كوريا والولايات المتحدة الامريكية، بعد الحرب الكورية التى دارت رحاها في الخمسينات من القرن الماضى، وقيام القوات الامريكية وقوات جنوبي كوريا بالاستفزازات العسكرية من حين لآخر على خط الفصل العسكرى هذا.

ولكن، مع اقتراب مرافقيه من بانمونزوم، راح الضباب الكثيف يحل فيها ويلفها بشكل لم يسبق له مثيل.

واقترب القائد حتى لمسافة ٢٠ – ٣٠ مترا من مخافر العدو، وهو يتفقد الاماكن المتفرقة من بانمونزوم، حيث تصوب نحوها فوهات البنادق المعادية دائما. لم ينقشع الضباب ولو قليلا، خلال مكوثه فيها وقتا طويلا، بل حف به في كل خطوة من خطواته وكأنه ملاك حارس. وما ان عاد القائد أدراجه بعد زيارة بانمونزوم، حتى تلاشى ذلك الضباب دون اى اثر.

حين عرف زعماء القوات الامريكية والجيش الكورى الجنوبى هذه الحقيقة متأخرين، ظلوا مذهولين. فقد صرح سكرتير طرف "قوات الامم المتحدة" في لجنة الهدنة العسكرية السابقة، لممثلى طرف الجيش الشعبى الكورى قائلا: حين صدر خبر زيارة قائدكم الاعلى الى بانمونزوم في صباح اليوم السابع والعشرين من تشرين الثانى الماضي، استدعاني قائدنا

(قائد القوات الامريكية الثامنة المرابطة في جنوبي كوريا)، وأنبنى على اخفاقى بمعرفة ذلك، وقد كنت في بانمونزوم في ذلك اليوم. وعندما قلت له باننى لم استطع رؤية اى شىء، بسبب كثافة الضباب في ذلك اليوم، توقف عن تأنيبى. ربما لانه، هو الآخر، لم يجد كلاما آخر للرد على ذلك. يبدو ان القائد الاعلى كيم جونغ ايل يمتلك قوى خارقة لاستدعاء الضباب. حقا ان هذا لأمر عجيب!

"يا لها من غرابة"

ذات يوم من ايار عام ٢٠٠٠، فوجئ القائد كيم جونغ ايل برؤية جرار متوقف على جانب الطريق، اثناء مناقشته شؤون البلاد الزراعية مع الكوادر، متأملا حقول احدى المزارع في محافظة بيونغآن الشمالية، الواقعة في شمال غربى كوريا، فسار نحوه. واشار القائد للسائق الذى عبر عن احر تحياته، أن يدير المحرك.

"حاضر."

رد عليه السائق بصوت ينم عن النشاط، وفتح الباب الايسر للجرار، وأدار محرك جراره. وسرعان ما دوت لعلعة المحرك فى السهول.

وبعد ان حدس القائد حالة المحرك، دنا من الباب الايمن، معبرا عن رضاه. وهنا، وقع السائق في حيرة وارتباك، لان ذلك الباب كان عاطلا.

(وا أسفاه! ذلك الباب عاطل لا يفتح...)

عض السائق شفتيه من شدة الأسف.

لكن القائد دنا من الباب وشد المقبض. وفجأة، حدث امر غريب. اذ ان ذلك الباب المغلق باحكام، انفتح بخفة.

ظل السائق يجول بناظريه حائرا متعجبا. وبعد ان تأمل القائد داخل

الجرار وقتا معينا، أوصاه وهو يغلق الباب، بالاعتناء به جيدا.

وبعد عودته، اجتمع الناس حول الجرار، وتسابقوا الى فتح ذلك الباب، ظانين انهم سيفتحونه بسهولة بعد ان فتحه القائد. ولكن الباب لم يفتح، يا للغرابة!

لم يتمكن أي منهم ان يفتح ذلك الباب، رغم كل المساعي. وفي نهاية المطاف، تمكنوا من فتحه بواسطة ادوات إدامة مختلفة.

(يا له من امر غريب!...)

اخذ المجتمعون يهزون رؤوسهم عجبا ونظرات الدهشة والاعجاب تملأ وجوههم.

(يا للعجب! حتى ذلك الجرار الجماد يتعرف على الرجل العظيم!)

الطقس يعرف الرجل العظيم

حدث ذلك في حزيران عام ١٩٨٣، حين قام القائد كيم جونغ ايل بزيارة للصين.

في شنغهاى المعروفة بأن السماء فيها تمطر في كل ثلاثة ايام، اذا حل فصل الصيف من كل عام، لم ينقطع نزول المطر مصحوبا بالاعاصير، قبل وصوله اليها بعدة ايام. ولكن، قبيل وصوله بساعات، توقف المطر فجأة. في العادة، يكون الطقس فيها قائظا للغاية بأشعة الشمس اللافحة والخانقة بعد المطر. لكن الطقس في ذلك اليوم لم يكن كذلك أبدا. بل كان طيبا طوال اقامته فيها.

وحين توجه القائد الى تشنغتاو بعد زيارة شنغهاى، اصبح الطقس صحوا جدا، عشية وصوله اليها، بعد ان كان مضببا. فأجمع الناس على القول:

"حتى الطقس يعرف الرجل العظيم".

حدثت مثل هذه الواقعة في ايار عام ٢٠١٠ ايضا.

قبل وصول القائد الى مدينة تنتسين بيوم واحد، كانت الامطار تهطل فيها بغزارة. ولكن، عشية وصوله الى محطة تنتسين للسكك الحديدية، توقف المطر في قلب المدينة فقط، بينما ظل المطر يهطل في منطقة الميناء الساحلية التى من المقرر ان يتوجه القائد اليها مباشرة. كان رصيف الميناء مغمورا بالمياه في كافة اركانه. ولذا، خطط الجانب الصينى لان يقوم القائد بتفقد ميدان الميناء وهو بداخل السيارة.

ولكن، حين انطلق القائد الى جهة الرصيف، بعد ان استمع في المقر العام للميناء لشرح عن تاريخ موجز للميناء وتخطيط آفاقه واللوحة المجسمة لبنائه، توقف المطر فجأة في تلك الجهة. وعليه، لم يكبح المرافقون الصينيون اعجابهم، فيما هم مرتاحين لحسن الطالع هذا، الذى نفى حاجتهم لتنظيم زيارته للميناء في داخل السيارة.

امضى حوالى ٤٠ دقيقة فى تفقده لاثنين من المرافئ. خلال ذلك الوقت، كان المطر يواصل انهماره على البحر القريب، بخلاف مسار تفقده. وحين غادر القائد منطقة الميناء بالسيارة، بعد زيارتها، سرعان ما اخذ المطر يهطل على الرصيف مرة اخرى.

بصدد الظاهرة الطبيعية الغريبة في ذلك اليوم، قال الصينيون: حقا انها ظاهرة مدهشة. لا يمكن اعتبارها إلا من اسرار الاسماء.

انه رجل انجبته السماء حقا وفعلا!...

رجل يحمل معه اشعة الشمس

" كيم جونغ ايل اوقف العاصفة". هذا هو عنوان المقالة التى نشرت في صحيفة "ترود" الروسية، المؤرخة بيوم الرابع والعشرين من آب عام ٢٠٠٢.

قبل ذلك اليوم، هبت جولتان من العواصف العاتية بالمنخفض الجوى

المعتدل، حيث جاء القائد كيم جونغ ايل الى فلادفستك بالشرق الاقصى الروسى. ولكنها توقفت، يا للعجب! حين جرى اللقاء بينه وبين الرئيس بوتين فيها. ويقال ان غيوم الزوبعة المندفعة تلاشت، حين كان القائد يزور سان بترسبورغ في العام قبل ذلك ايضا.

ونشرت صحيفة "كومسمولسكيا برافدا" الروسية مقالة بعنوان "الرفيق كيم جونغ ايل يتحكم بالطقس"، تفيد بأن الضباب كان مكثفا في انحاء محطة السكك الحديدية، عندما اقترب القطار الذى يقل القائد الكورى من محطة هاسان على الحدود الروسية، في الصباح الباكر من يوم السادس والعشرين من تموز عام ٢٠٠١، حتى كان من الصعب التمييز الى الامام بشبر واحد. ولكن، ما ان دخل القطار في فناء المحطة، حتى صار الطقس صحوا فجأة، واخذت الشمس تشع بضيائها الباهر. حدثت وقائع مماثلة لذلك، في نوفوسيبرسك واومسك ايضا، اثناء سير القطار نحو موسكو. ومن هنا، قال الشعب الروسى ان القائد كيم جونغ ايل يتحرك ومعه اشعة الشمس.

٢) الفطنة

السؤال الموجه اليه

حدث ذلك في احد الايام من تشرين الاول عام ١٩٥٥، حين كان القائد كيم جونغ ايل يدرس في مدرسة بيونغ يانغ الثانوية الاولى.

في حصة دراسة تاريخ العالم، قال المعلم حول تاريخ الحروب لاحد البلدان في العصور القديمة، ان الحرب هى فن.

وما ان انتهى المعلم من شرحه، حتى نهض احد التلاميذ من مقعده فجأة، وقال:

"يا معلمى، ما معنى ان الحرب هى فن؟"

واذا بلسان المعلم ينعقد حينا، ثم غمغم قائلا انه سيعطى اجابة عن ذلك اثناء الدرس القادم بعد معرفته للتفاصيل.

وحين حل وقت الراحة، تهافت التلاميذ على القائد كيم جونغ ايل كالمعتاد، طالبين منه الاجابة عن ذلك.

بدأ القائد يتحدث لهم عن السمفونية الموسيقية بالارتباط مع الحرب، ومضى في الحديث:

تعد السمفونية فنا يشتمل على كافة اوجه الصفات، من اقصى الروح التنظيمية والدقة، والتناغم الدقيق، واكبر مقادير الطاقة والتوتر. وفى الحرب، تتركز كل الاشياء، من الموارد البشرية والمادية والقوة الروحية الى ابعد الحدود، وكذلك تلزمها الاستراتيجيات والتكتيكات الواضحة

والدقيقة، في آن واحد مع تعبئة كافة المنجزات العلمية والتقنية. والشيء المعتبر هنا هو تنسيق كل هذه الحلقات على اكمل وجه وبكل دقة. واذا تخلفت اية حلقة، فقد تنتهى الحرب بالهزيمة. وبهذا المعنى، يقولون ان الحرب هى فن، وانبثق من هنا مصطلح "الفن العسكرى"...

وتابع القائد بالقول ان الرئيس كيم ايل سونغ قد ابدع الاستراتيجيات العسكرية والطرق الحربية الاصيلة في مجرى قيادته للنضال المسلح المناهض لليابان وحرب التحرير الوطنية (الحرب الكورية في خمسينات القرن الماضى)، وان ذلك يعد فنا عسكريا بارزا لم يعرفه تاريخ الحروب.

وتعالت التصفيقات الاجماعية في اركان الغرفة.

خلاف انتقل الى قرن

حدث ذلك في احد الايام من ايلول عام ١٩٦٠، حين لم يمض شهر واحد على التحاق القائد كيم جونغ ايل بجامعة كيم ايل سونغ.

بعد ظهر ذلك اليوم، توجه القائد الى الكرسي الاكاديمي فى علم الاقتصاد السياسى. وبعد ان قدم تحياته للمعلمين، قال انه جاء هنا لان لديه ما يخطر بباله عند قراءة الكتب المدرسية، بعد تلقى المحاضرة.

انتظر المعلمون قوله التالى، حابسين انفاسهم.

اشار القائد الى ان علم الاقتصاد السياسى الحالى يعالج مسألة تكوينات القوى المنتجة بضم القوة العاملة للانسان ووسائل الانتاج اليها. اومأ المعلمون برؤوسهم تعبيرا عن الايجاب، لان ذلك من النظريات الثابتة المتوارثة عبر قرن ونيف، ومن ابسط النظريات الجاهزة المعروفة لدى خبراء علم الاقتصاد السياسى.

وتابع يقول ان ذلك يعنى ضم حتى اهداف العمل الى تكوينات القوى المنتجة، طارحا سؤالا مفاده بأنه يجب تفسير القوى المنتجة على انها مكونة من القوة العاملة وادوات الانتاج، أ ليس كذلك؟ كان يقصد ان اهداف العمل لا يمكن ان تغدو من ضمن القوى المنتجة.

فى وقتها، اكتفى الاستاذ المخضرم الذى كرس حياته في بحث الاقتصاد السياسى، والمعلمون الشباب، بتبادل النظرات، وعلت محياهم علائم الذهول. اذ ان القائد عثر على الخلاف الواضح، الذى انتقل الى القرن منذ ظهور علم الاقتصاد السياسى الى حيز الوجود.

اجاب المعلمون متذرعين، ان ذلك جاء في نظرية ماركس الخاصة بعلم الاقتصاد، ويدور حاليا جدال حول هذا الموضوع في الاوساط العلمية.

فقال القائد لهم ان الرئيس كيم ايل سونغ قد اشار إلى ان القوى المنتجة شبيهة بالقوات المسلحة للجيش، اذا اعتبرنا ذلك مجازا. وان السلاح، والشخص الذى يستعمله، يعدان قوات مسلحة. ومن البدهى ان تتكون القوى المنتجة من الناس وادوات الانتاج فيما تتكون القوات المسلحة من السلاح والجنود. ...

واخيرا، وجد هذا الخلاف، الذى ظل موضع جدال في الاوساط العلمية عبر القرن، حلا له بفضل ذكائه.

فلسفة زوتشيه والفلسفة الانسانية

في احد الايام من نيسان عام ١٩٧٤، تبادل القائد كيم جونغ ايل الحديث حول فلسفة زوتشيه، مع الكوادر المعنيين.

في ذلك الحين، كانت بين علماء الاجتماع، انحرفات فى رؤية فلسفة زوتشيه، على تجانس واحد مع الفلسفة الانسانية. وبصدد ذلك، قال القائد ما يلى:

"لقد مضى زمن طويل منذ ظهور الفلسفة الانسانية، اصلا، ولها مدارس شتى. لكنها جميعا تتناول المسألة الانسانية فقط. ان الفلسفة الانسانية ما هى إلا فلسفة مجردة لحياة الانسان، تنكر الرسالة الاصلية للفلسفة، من حيث هى علم يلقى نظرة للعالم، وتقوم اساسا على التناظر في ماهية الانسان وماهية حياته.

لكن فلسفة زوتشيه تختلف عنها، اذ انها طرحت مسألة مكانة الانسان ودوره في العالم، كمسألة جذرية للفلسفة، واوضحت المبادئ الفلسفية التى تتلخص في ان الانسان هو سيد كل الاشياء ومقررها. ان المسألة الجذرية لفلسفة زوتشيه لا تقتصر على المسألة الانسانية، بل هى مسألة العلاقة بين العالم والانسان، كما ان مبادئ زوتشيه الفلسفية ليست تصورا بحتا عن حياة الانسان، بل هى مبادئ بينت النظرة الى العالم. ان فلسفة زوتشيه هى فلسفة اوضحت النظرة الى العالم، المتمحورة على الانسان، اى النظرة الزوتشية الى العالم."

اشار كيم جونغ ايل الى ان فلسفة زوتشيه قد اعطت ايضاحا جديدا لوجهة النظر حول الانسان ايضا، خلافا للفلسفة السابقة واضاف:

حتى الكلاسيكيين الماركسيين الذين حددوا جوهر الانسان كمحصلة للعلاقات الاجتماعية، قد قطعوا شوطا بعيدا في الايضاح الفلسفي للانسان، بيد انهم لم يوضحوا ايضاحا شاملا خاصية جوهرية للانسان من حيث هو المسيطر على الطبيعة والمجتمع ومغيرهما. فلسفة زوتشيه هى الوحيدة التى اوضحت لأول مرة ان الاستقلالية والابداعية والوعى تمثل خاصية جوهرية للانسان، الكائن الاجتماعى. واعطت بذلك ايضاحا متكاملا للانسان، وايضاحا فلسفيا صائبا لمكانة الانسان ودوره. ...

صرح كيم جونغ ايل مفعما بالثقة وهو يجول بناظريه حول الكوادر.

"لقد اوضحت فلسفة زوتشيه طبيعة الانسان ومكانته ودوره على نحو جديد، من حيث هو المتحكم بالعالم والمغير له، الامر الذى جعل

كـرامة الانــسان وقيمــته تـبلغان ذروتـهمــا. وتلــك مآثــر عظـيمة لفلــسفة زوتشيه، لم يحققها اى فكر فلسفي من قبل."

صيد النورس حيا

حدث ذلك فـي يوم مـن ايام آب عـام ١٩٦٧، حين كان القائد كيم جونـغ ايل يقوم بـزيارة توجيهية ميدانـية لـشؤون مـحافظة هامكيونـغ الجنوبية، الـواقعة في شرقى كوريا.

عـندما وصـلت الـسيارة بـه الــى احـد المـنعطفات، اثـنـاء سـيرها علــى شـواطئ بحـر كـوريا الـشرقى، طـلب كـيم جونـغ ايـل، اخـذ قسط من الراحة هناك.

بعـد ان نـزل مـن الـسيارة، نظـر وقـتا طـويلا الـى طـيور الـنورس، محلقـة بحـرية فوق امـواج مياه البحـر الـزرقاء، واذا بـه يسأل المرافقين عما اذا كان من الممكن صيد واحد منها حيا. فاجابه احد الكوادر بنعم. فسأل القائد:

"كيف يمكن ذلك؟"

"توجد البندقية."

"بالبندقية؟! من الممكن تحقيق ذلك بـهذه الطريقة."

قال كيم جونـغ ايل انه يحتاج الى نورس حى، لا مصاب بالرصاص.

فكر الكادر في قرارة نفسه.

(لأى غرض يريد النورس الحى؟...)

قـال القائـد انـه حـين ذهـب قـبل عـدة ايـام الـى حديـقـة هامهونـغ للحـيوان، الكائـنة فـي مركـز مـحافظة هامكيونـغ الجـنوبية، وجد هـناك عددا غير قليل من المتفرجين، رغم قلـة الحيوانات. والـنورس لـيس طـائرا نـادرا الـى حـد يستحق الـذكـر، ولكـنه يـود صـيده حـيا، وارسـاله الـيها تـذكارا لـزيارتنا لـها ومـن اجل

الشغيلة والشباب والناشئين في مدينة هامهونغ، الذين يزورون الحديقة.

استرسل الجميع في تفكير عميق، نظرا لان الحيلة لم تخطر ببالهم، واذا بأحد الكوادر تقدم قائلا انه من الممكن صيده حيا بالبندقية، على ما يبدو له.

فقال كيم جونغ ايل مبتسما ان فكرته تتفق مع فكرته.

(كيف يمكن صيد النورس حيا بالبندقية؟ ...)

حين ساورتهم الريبة، قال لهم منبها ان الحيوانات الطائرة تتميز عموما بشدة الخوف مع حبها الشديد للحوم، حتى انها لا تطير للحظات بسبب الرعب، لمجرد مرور الرصاصة قربها. لذا، فانه ينوى الاستفادة من نقطة ضعفها هذه.

كان الكوادر يعرفون جيدا مهارته البارعة فى الرمي، فطالبوه بإطلاق الرصاص بسرعة. لقم كيم جونغ ايل البندقية، واقترب من طرف الجرف.

ومتى ما احست طيور النورس الظريفة بالأمر، حتى طارت بعيدا. فغمغم قائلا انه لا محالة من اطلاق النار لمكان بعيد، مهما كان ذلك مجهدا. وصوب البندقية نحو النورس القائم على الجرف الصخرى البعيد جدا، وضغط على الزناد. وسرعان ما طارت الطيور. لكن واحدا منها سقط فى مكانه الاصلى منهوك القوى، بعد ما طلع الى الفضاء بمسافة معينة.

اسرع الكوادر اليه مهللين، وعادوا محتضنين النورس الكبير. لمس القائد بهدوء جناحى النورس ورجليه، وداعب الريشة ليتأكد من عدم اصابته. لم يجرح النورس، بل مسته قليلا شظية صخرة متكسرة بالذخيرة.

اوصى القائد الكوادر بأن يحافظوا عليه بكل عناية، ويقدموه لحديقة هامهونغ للحيوان.

فراسة فى معرفة الدجاج لاول وهلة

حدث هذا الأمر في احد الايام من ايلول عام ١٩٦٧، خلال زيارة القائد كيم جونغ ايل، لإحدى مزارع الدجاج الآلية.

حين عرج القائد على اكنان الدجاج الام، وجد بعض الكبير والسمين منه يلعب في الساحة مطلقا، بينما يبيض الآخر في الصناديق المقفلة اوتوماتيكيا. وبعد ان تلقى من احد الكوادر تقريرا بأنها اول دفعة لإنتاج اللحوم بتفقيس البيوض التى ارسلها الرئيس كيم ايل سونغ، اشاد بجهود الكوادر والعمال، لافتا الى انهم ربوا الدجاج على خير وجه.

لم يحول القائد بصره عن أسراب الدجاج، وقد غمره الرضى البالغ. واذا به يسألهم بغتة، بعد ان تفحص إحدى الدجاجات بين الكثيرات.

"هل تلك الدجاجة ايضا معدة لإنتاج اللحوم؟ اعنى تلك التى تلتقط الطعام بعصبية."

نظر المرافقون الى حيث اشار القائد، فوجدوا في الواقع احدى الدجاجات تلتقط الطعام مسرعة وبعصبية، خلافا لغيرها.

قال كيم جونغ ايل متسائلا: ربما اختلط الدجاج المعد لإنتاج البيض مع اسراب الدجاج لإنتاج اللحوم، أليس كذلك؟

ولم يجبه احد.

فقال القائد مبتسما قليلا.

"الدجاج الصالح لإنتاج اللحوم لا يتعجل بسبب طبعه البطيء، لكن الدجاج لإنتاج البيض يتميز بالنزق."

واشار الى ان تلك الدجاجة تبيض كثيرا، على الارجح.

امسك احد الكوادر بالدجاجة، وتفرس فيها مرات. من المؤكد أنها لإنتاج البيض.

وهكذا، كشف كيم جونغ ايل من اول وهلة تلك الدجاجة التى لم ينتبه لها حتى عمال تربية الدجاج الذين يراقبون ويفتشون دائما لمنع اختلاط الدجاج متباين الخاصية، وهم يعيشون في المزرعة في معظم الاوقات، بين اسراب دجاج معد لإنتاج اللحوم، يزيد تعداده على الآلاف، وحجمه وهيأته متشابهة تقريبا.

اغنية انشدوها بثلاث لغات

حدثت هذه القصة في شهر حزيران عام ١٩٧١، حين كانت كوريا على استعداد للعرض الفنى للاحتفالات بالمؤتمر السادس لاتحاد الشباب العامل الاشتراكى (سلف اتحاد كيم ايل سونغ الاشتراكى للشباب).

استدعى القائد كيم جونغ ايل احد محررى الموسيقى، وسأله عن اى نوع من الاغانى الاجنبية يحسن اختياره في رأيه، قائلا انه قد تم اختيار كل اغانينا التى ستعرض في العرض الفنى الاحتفالى القادم.

لم يجرأ محرر الموسيقى على الرد، لانه لم يفكر في ذلك الشأن بعد. فسأله كيم جونغ ايل عن رأيه في اختيار "نشيد الشباب الديمقراطى العالمى"، باعتباره اغنية يمكن للجميع ان ينشدوها بصورة مشتركة، طالما يشارك في هذا المؤتمر كثير من الوفود والممثلين من مختلف البلدان. وتابع قائلا انه سنجعل انشاد ثلاث فقرات من هذه الاغنية بكل من اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية.

واخيرا، جرى العرض الفنى للاحتفال بالمؤتمر السادس لاتحاد الشباب العامل الاشتراكى الكورى بحضور الرئيس كيم ايل سونغ، وشارك فيه

الشباب القادمون من بلدان كثيرة. وقدم على خشبة المسرح "نشيد الشباب الديمقراطى العالمى"، بأداء الكورال النسائى الصغير. عندما انشدت المغنيات الكوريات الفقرة الاولى باللغة الانجليزية، تلاهن الممثلون الناطقون بها، وكذا الفقرة الثانية بالفرنسية، والفقرة الثالثة بالاسبانية، ونهض الجميع من مقاعدهم مصفقين بنشاط.

كانت مشاعر محرر الموسيقى خليطا من السرور والاعجاب والذهول.

وما ان انتهت تلاوة الاغنية حتى طلب جميع الممثلين تكرارها، مصفقين بحرارة. وقام ممثلو مختلف البلدان من مقاعدهم مرة اخرى مبتهجين مع استئناف الاغنية، وتسابقوا لغناء "نشيد الشباب الديمقراطى العالمى" كأغنية جماعية كبرى للشعوب في مختلف بلدان العالم.

شكل جديد من المجموعة الروائية

ان فطنة القائد كيم جونغ ايل مقرونة ايضا بالمجموعة الروائية "التاريخ الخالد"، التى تشتمل على التاريخ الثورى للرئيس كيم ايل سونغ، وتصوره في نظام متكامل عميق.

قبل ظهور هذه المجموعة الروائية الى حيز الوجود، كان الكتاب يمعنون التفكير في مسألة كيفية تصوير المضامين الضخمة والغنية للتاريخ الثورى للرئيس، في صيغة رواية.

ذات يوم من آب عام ١٩٧١، اجتمع القائد بأحد الكوادر، وقال له موضحا ان تصوير التاريخ الثورى للرئيس كيم ايل سونغ في عدة روايات هو امر من رابع المستحيلات، وانه من الممكن تدبيج الرواية على شكل سلسلة بعناوين مختلفة حسب فترة زمنية، او بطريقة الترقيم المتسلسل في عنوان واحد عام. ولكن من المستحسن، في رأيه، ابداعها

علـى شكل مجمـوعة روائية، بالنظر الى عظمة التاريخ الثورى للرئيس او سعة محـتوياته الضخمة. وعندئذ، يمكن ضـمان الـوحدة فـي كل رواية من رواياته، مع ابراز أهميتها المستقلة.

تبادرت الـى ذهن الكـادر اعمـال مـن المجمـوعة الـروائية المـسجلة فـي تــاريخ الادب العالمــى، مــثل "الكومــيديا الانــسانية" بقلــم بلــزاك، و"آل روغـون – ماكـار" بقلم اميل زولا. كان بلزاك قد جمع ٩٠ رواية ونيفا في مجموعته الـروائية "الكوميديا الانسانية"، بينما جمع اميل زولا ٢٠ رواية في عمله "آل روغون – ماكار".

ابلـغ كـيم جونـغ ايل الكادر، وكأنه استشف ما يدور في خلده، انه يجب شق الطريق لحل هذه المسألة من زاوية جديدة، نظرا لانه ما من بلد سبق لـه ان صـور الـتاريخ الـثورى لـزعيم الطـبقة العاملـة فـي صـيغة الاعمـال الادبية واسعة النطاق حتى الآن.

واضاف يقول:

"لا يمكـن تـصوير الـتاريخ الـثورى المجـيد للـزعيم العظـيم تـصويرا شـاملا فـي نظـام مـتكامل وعمـيق، ولا تـزويد كـل عمل من الاعمال بميزتـه الخاصـة كـرواية فـي نظـام المجمـوعة الـروائية، ولا رفـع قـدرة التأثيـر الادبى، الا بتنهيجه في صيغة المجموعة الروائية الجديدة على نمطنا.

أرى انــه مـن المستـصوب عنونـة المجمـوعة الـروائية التـى تـصور التاريخ الثورى للزعيم العظيم، (التاريخ الخالد)."

ابحث عن فورتى

حـدث ذلـك فـي احـد الايـام مـن آذار عـام ٢٠٠٥، حـين كـان القائـد كـيم جونـغ ايل يـشاهد عـرض الكـورس الكبيـر مـن الفـرقة الوطنـية

الجديرة للغناء الجماعى في كوريا.

وبعد انتهاء العرض، سأل كيم جونغ ايل للمايسترو عن معنى اسم آلة البيانو الموسيقية، مشيرا الى ان العزف المصاحب اصبح غير مفيد، نتيجة لخفوت صوت البيانو. بعد ان استمع للجواب بأن اسمها الاصلى هو البيانو فورتى، تيمنا بمعنى امكانية ضبط الصوت خفيفا او قويا، قال ان ذلك صحيح. ومضى في الحديث.

ان اسمها الاصلى الفريد هو البيانو فورتى بمعنى امكانية العزف عليها بصوت خفيف أو قوى. لكن العزف المصاحب بالبيانو اليوم لم يظهر معنى فورتى، بل اقتصر على اظهار معنى البيانو. اذن، اين فورتى؟...

إحمر وجه المايسترو، دون ان يرد على كلامه. واصل كيم جونغ ايل حديثه مبتسما بكل تسامح.

استشففت على الفور، منذ استماعى اليوم الى الاغنية الاولى، ان المايسترو كبح اداء العزف المصاحب. ربما فعل ذلك لأنه خشى جهارة العزف المصاحب على البيانو، قد تفوق صوت الكورس الكبير. أرى انه لم يحسب ان الاغانى لن تبرز طابعها، وينكشف اضطراب النغمات، عندما يكبح المايسترو العزف المصاحب على البيانو. مطلوب من المايسترو ان يقوم بتوجيه العزف الموسيقى بكل حرص، بعد التدقيق فيه من مختلف النواحى ...

كان تحليله وحكمه صائبين. حقا ان المايسترو قد سعى للتركيز على تصوير الاغانى، واخضاع العزف المصاحب لها، حتى طالب بتخفيض الصوت.

بعد ان اعطى كيم جونغ ايل تعليمات مفصلة لتطبيق شتى عناصر من التآلف النغمى والايقاع، ومختلف اساليب التصوير الموسيقى في العزف المصاحب على البيانو، قال للمايسترو ما يلى:

احزم الامر لتجديد الموسيقى. ولا بد من العثور على الفورتى.
فأجاب:
"حاضر. سأبحث عن الفورتى حتما."
في وقت لاحق، شاهد كيم جونغ ايل عرض الكورس الكبير مرة اخرى.
وكانت نتائج العرض موفقة تماما.

التنبؤ الحكيم

كان ذلك في ليلة العشرين من تشرين الاول عام ١٩٧٩، حين كان معظم الناس يغطون في نوم عميق.
تجالس القائد كيم جونغ ايل مع الكوادر، وقال لهم، بعد التحليل العام لعلاقات التنافر السائدة داخل "سلطات" باك جونغ هى، في جنوبى كوريا، ونضال الشعب ضد دكتاتورية الاصلاح، ما يلى:
"دكتاتور الاصلاح ايضا انتهى وجوده."
تبادل الكوادر نظراتهم في حيرة. اذ ان معنويات الدكتاتور، المحمي من الولايات المتحدة الامريكية، كانت عالية جدا، على ما يبدو لهم.
قال القائد للكوادر المذهولين بنبرة واثقة.
"يبدو لى ان حادثة صادمة ستقع، بالنظر الى طالع الخلافات والاوضاع الحادة في المجتمع الكورى الجنوبى. أرى ان الساعة قد أزفت لنهاية دكتاتورية باك جونغ هى للاصلاح. من المحتمل ان الامريكيين هم من سيسقطون باك جونغ هى."
بعد مضى ستة ايام على ذلك، وتحديدا يوم ٢٦ من تشرين الاول، وقعت في جنوبى كوريا حادثة اغتيال باك جونغ هى، التى تم تدبيرها سرا

من قبل وكالة المخابرات المركزية الامريكية. وهكذا، اخترق القائد وكر المؤامرات، ببصيرته الثاقبة.

الامثلة التى تبين صحة تنبؤاته، لا تقتصر على ذلك.

ذات يوم من تشرين الثانى عام ١٩٨٧، تنبأ كيم جونغ ايل، في جلسة حديثه عن احوال الاتحاد السوفييتى آنذاك، ان الاتحاد السوفييتى سينهار برياح "اعادة الهيكلة". واذا سار الاتحاد السوفييتى على هذا الغرار، فمن المحتمل ان يحدث فيه امر ما في ظرف سنتين او ثلاث سنوات، وربما سينتكس علم الاشتراكية في هذا البلد، وتجتاحه رياح الرأسمالية، وستكون قضية الأمم للاتحاد السوفييتى، وهو دولة متعددة الجنسيات، معقدة.

وحين نشبت حرب الخليج في كانون الثانى عام ١٩٩١ ايضا، اجمع كثير من الناس على القول بان جيش العراق لن يهزم بسهولة، في ضوء المعنويات المنتفخة لصدام حسين. بيد ان القائد كيم جونغ ايل، تنبأ ان العراق سترفع العلم الابيض، بعد عدة اسابيع فقط.

من هو اشهر الجنرالات

قال المؤرخون إن الجنرال الشهير هو الذى يبيد الجيش الجرار بالشجاعة المدهشة والاساليب التكتيكية البارعة.

ورغم ذلك، شكك في ذلك احد الكوادر ممن قرأوا معظم سير حياة الجنرالات في الشرق والغرب، وفي الماضى والحاضر، اثناء عمله مسؤولا في قطاع الدبلوماسية الكورية منذ مدة طويلة.

من هو اشهر الجنرالات بالمعنى الحقيقى؟ ...

اعرب الكادر عن شكوكه تلك، مستغلا فرصة لقائه مع القائد

كـيم جونــغ ايــل، فــي احــد ايــام مــن شــهر حزيــران عــام ١٩٨٥. فعــاد كيم جونغ ايل يسأله عن رأيه، قائلا ان ذلك قد يختلف وفقا لآراء الناس.

وقال الكادر انـه شاع في الشرق والغرب اقاويل عن الجنرالات الثلاثة او الجنرالات السبعة او الجنرالات العشرة، ولكنه لا يستطيع ان يميز بوضوح من هو اشهر الجنرالات. ثم، عد على اصابع يده، اصحاب القصص التى قرأها عن اعلام الجنرالات، ومنهم الاسكندر الكبير، هانيبال، قيصر، سبارتاكوس، نابوليون، كوتوجوف، جنكيزخان، جى كاليانغ، جوكوف، وستالين...

ذكر لـه كيم جونـغ ايل ضـاحكا ان بـتهوفن قد ابدع السيمفونية الثالثة المشهورة التـى يمدح فيها نابوليون بأنه رجل بطل يناضل من اجل حقوق الانسان والديمقراطية. وحين عرف انه سيتحول الى طاغية بعد الاستيلاء على سدة الامبراطور فيما بعد، محا إسمه عن غلاف السيمفونية، قائلا "هو ايضا من احقر الناس"، ومضى في الحديث.

كمـا ورد فـي سياق ابداع سيمفونية بـتهوفن "الـبطل"، فـان الـشعب لا يــصدق، رغـم ان المؤرخــين يــصفونهم كابطــال وجنــرالات مــشاهير. ان الطامحين الذين يسعون للاستيلاء على السلطة، بدافع من مطامع السلطة، والدكتاتوريين الـذين يحكمـون الـشعب بالبـنادق والـسيوف، والغـزاة الـذين حاولـوا غـزو هـذه القـارة او تلـك فـى العـالم، هـم جمـيعا موضـع نـبذ مـن الشعب، مهما كانت شجاعتهم.

اذن، من هو أشهر الجنرالات؟ ...

سرعان ما اعطى كيم جونغ ايل، اجابة واضحة عن ذلك، وقال:

"ان مـشاهير الجنـرالات هـم الـذين اجتـرحوا المآثـر التاريخـية فـي الحـرب العادلـة لتحقيق استقلالية جماهيـر الـشعب، ويـبقون خالـدين فـي ذاكرة الشعب بصياغة مصير وطنهم وامتهم."

انفعل ذلك الكادر بكلامه منشرح الصدر، فعاد يسأله عن اى شيمة توضع في المقام الاول من بين الشيم التى تحلى بها مشاهير الجنرالات المتعاقبين.

فقال القائد مبتسما:

"السؤال يزداد تعقيدا بالتدريج."

ثم، روى عن اشهر الجنرالات النموذجيين، بما فيهم سبارتاكوس، قائد انتفاضة العبيد في روما القديمة، وكوتوجوف الروسى الذى ألحق هزيمة نكراء بنابوليون، وجوكوف مارشال الاتحاد السوفييتى السابق، حامل لقب البطل لاربع مرات، وستالين كبير المارشالات، وتابع بالقول:

"اظن ان الشيم التى ينبغى لمشاهير الجنرالات ان يتحلوا بها، هى الفطنة والذكاء خارق العادة، والايمان والارادة الثابتة، والجرأة والعزيمة منقطعة النظير، والحماسة والفضيلة الحارة. بعبارة اخرى، لا بد ان نعتبر الجنرالات الذين ينتصرون على الخصوم بالفكر والايمان والارادة، والجرأة والعزيمة، والحماسة والفضيلة، الجنرالات الاكثر شهرة".

مفهوم جديد عن عيد الاول من ايار

لقد مضت اكثر من مائة سنة عبر قرنين، منذ ذلك الحين الذى تم فيه اقرار اليوم، الذى خاض فيه عمال شيكاغو الامريكية نضالا تحت الشعار الداعى الى تطبيق نظام العمل لثمانى ساعات، في يوم الاول من ايار عام ١٨٨٦، كيوم تذكارى عالمي للطبقة العاملة في العالم كله، وذلك في المؤتمر التأسيسى للاممية الثانية، المنعقد في باريس بفرنسا في تموز عام ١٨٨٩. ولكن، لم يكن هناك احد يفكر برأى آخر فى تسمية هذا اليوم بالعيد العالمي لافراد الطبقة العاملة.

في يوم الاول من ايار عام ٢٠٠٦، تجالس القائد كيم جونغ ايل مع الكوادر، وقال لهم اننا حتى الآن، نسمي عيد الاول من ايار، بعيد الطبقة العاملة في العالم كله، ولكننا الآن بحاجة الى تجديد مفهوم عنه.

وقال وهو يلتفت الى الكوادر المدهوشين، ان عيد الاول من ايار قد وجد في الاصل كعيد عالمي يظهر القدرة الكفاحية للطبقة العاملة وتلاحمها الثورى في النضال من اجل تحقيق حق الوجود والحرية الديمقراطية، ضد اضطهاد الرأسمال واستغلاله. ولكن اليوم لا يمكن اعتباره مجرد عيد للطبقة العاملة. واقام دليلا دامغا على ذلك بالتفصيل.

في هذا العصر، عصر صناعة المعلوماتية الذى تتطور فيه العلوم والتكنولوجيا بوتائر سريعة، فان عمل الطبقة العاملة يتحول الى عمل تقنى وذهنى بما لا يمكن مقارنته مع ما كان في الماضى، حتى ان العمال يتحولون على غرار المثقفين، ويزداد عدد العمال المشتغلين في العمل الروحى على جناح السرعة، حتى يغدو العمال والمثقفون كلهم شغيلة يتعاطون عملا تقنيا وعملا معنويا. وفي ضوء هذه البيئة المتغيرة للعصر والظروف الواقعية، لا ضرورة لتقبل عيد الاول من ايار كمجرد عيد عالمي للطبقة العاملة في العالم اجمع عقائديا ...

وفيما كان الكوادر يستمعون الى تعليماته الواضحة عن الاحوال المتغيرة للطبقة العاملة والعلاقات الطبقية الاجتماعية، مستعينا بالحجج العلمية والملاحظات المنطقية، ترسخ في اذهانهم ادراك جديد عن الفرق ما بين الطبقتين العاملتين في عصر الصناعات الآلية وعصر صناعة المعلوماتية.

قال كيم جونغ ايل انه يجب جعل عيد الاول من ايار عيدا للشغيلة في العالم كله، وان ينضم الى مفهوم الشغيلة، العمال والفلاحون والمثقفون كلهم، واضاف:

ان اعتبار عيد الاول من ايار، كعيد للعمال في العالم كله، لا يتوافق مع طابع حزبنا (حزب العمل الكورى) ايضا. اذ ان حزبنا حزب جماهيرى للشعب العامل، يتكون من العناصر التقدمية من العمال والفلاحين والمثقفين. وعليه، اذا قلنا ان عيد الاول من ايار هو عيد الطبقة

العاملة حصرا، يعطينا ذلك شعورا بتحجيم الطابع الجماهيرى لحزبنا. بما ان عنوان المجلة النظرية لحزبنا هو ايضا "كولوزا" (الشغيلة)، فانه من المستحسن تسمية عيد الاول من ايار كعيد للشغيلة، بما يتفق مع طابع حزبنا الثورى والجماهيرى. ...

واشار الى انه يجب، من الآن وصاعدا، تعديل شعار "يا عمال العالم كله اتحدوا!" ايضا ليغدو شعار "يا شغيلة العالم كله اتحدوا!".

اسلوب فريد للكتابة

ذات يوم من تشرين الاول عام ١٩٨٨، كان احد الكوادر يتجول في ارجاء مدينة بيونغ يانغ بصحبة القائد كيم جونغ ايل، واذا به يتحدث عن اسلوب القائد الفريد للكتابة.

كان هناك سبب يستحق ذلك.

في فترة الشباب، حين كان يتلظى حماسة للدراسة، قرأ هو ايضا بعض مؤلفات الفلاسفة السابقين، ورآها معقدة في اسلوب الكتابة، ومشاكسة في المنطق على وجه العموم، حتى صعب عليه فهمها. وكانت تلك خاصيتها، واحد قواسمها المشتركة. لكن اعمال القائد كيم جونغ ايل، متميزة بوضوح كل الاشياء، مثل التطلع الى الامام من فوق قمة عند قراءتها للمرة الاولى، وبعمق المغزى عند قراءتها للمرة الثانية.

يمكن القول ان الخاصية التى تسرى في كل اعماله، هى الآراء والدعوات الواضحة، والمنطق الجدير، والوضوح المتكامل في نشر المنطق، والعمومية في تحليل النظريات، والصفة الشعبية في اللغة، واللطف لدعم المعلومات.

اما اهم ميزة من اسلوبه الفريد للكتابة، فهى قدرته الخارقة على

الاختصار، المتمثلة في تكثيف الافكار الضخمة والتعبير عنها بوضوح وعلى نسق متكامل. مثلا، فيما يبلغ عدد صفحات كتاب "كافة القضايا اللينينية"، الذى اختزل ستالين فيه الافكار الثورية للينين، ٢٤٦ صفحة، يبلغ عدد صفحات المؤلف الكلاسيكى "في فكرة زوتشيه"، الذى قام كيم جونغ ايل فيه بتنهيج الافكار الثورية للرئيس كيم ايل سونغ في صيغة جامعة، ٨٦ صفحة فقط. وهكذا، يتحلى كيم جونغ ايل بالمؤهلات المتميزة لتكثيف افكاره والتعبير عنها. ولذا، فان احاديثه وخطاباته واطروحاته عميقة في الفلسفة، مع بساطتها.

علق كيم جونغ ايل على حديث الكادر قائلا انه يبالغ كثيرا فى الوصف، واستطرد يقول:

"كلما اكتب، اتخذ (عمق الفكرة مع ايجاز الجملة، ووضوح المعنى مع بساطة التعبير) عقيدة لى."

دقات الجرس في الكنيسة الارثوذكسية

حدث ذلك، حين كان القائد كيم جونغ ايل فى زيارة لمنطقة الشرق الاقصى في روسيا، في آب عام ٢٠٠٢.

عندما اقترب القطار الذى يستقله القائد، من محطة خابارفسك للسكك الحديدية، قال انه يود اليوم زيارة كنيسة القديس اينوقنيوس ايركوتسك، وهى احدى الكنائس الارثوذكسية الروسية.

ساور الكوادر ذهول وقالوا:

"ايها القائد، أليست الكنيسة الارثوذكسية مكانا يذهب اليه رجال الدين والمتدينون فقط؟"

حدثهم كيم جونغ ايل قائلا انه ليس من رجال الدين، لكنه ينوى تفقدها

لان الديانة، هى الاخرى، تنطوي على السياسة، وتابع يقول:
إنها ديانة يؤمن بها الروس حبا لها، فستكون زيارتنا الى الكنيسة الارثوذكسية، امرا طيبا، وليس فيه ضرر. علينا ان نحترم اعراف الامم الاخرى، دون ان نكون منغلقين، ضيقي الافق ابدا. اذا زرنا كنيسة الارثوذكس، سيكون بامكاننا التعرف على العادات الفولكلورية للشعب الروسى وعوالمه الداخلية، اى بماذا يفكر والى ماذا يتطلع وفيما يرغب. كما يمكننا التآلف مع المتدينين الارثوذكسيين البالغ تعدادهم ٦٠ مليون نسمة. فما احسن ذلك!
وقال ان السياسى، كائنا من كان، لا بد ان يملك معرفة عميقة عن الديانة ايضا، وتحدث باسهاب عن نشأة الارثوذكسية الروسية وتاريخ تطورها، وعن تأثيراتها الكبيرة في سياسة الدولة، تلك الديانة التى يعترف بها كأكبر ديانة من بين ١٥ ديانة ارثوذكسية مستقلة تتواجد اليوم في العالم.
وبينما كان كيم جونغ ايل يعاين البيئة المحيطة وهيئة المبانى، للحظات، بعد وصوله الى الكنيسة، رنت دقات الجرس الجهورية والجليلة فجأة، حتى تركزت انظار الجميع نحوها دفعة واحدة.
قال رئيس الكنيسة، وهو يشير الى قبة الجرس، ان حراس الجرس في الكنيسة يقرعون الجرس ترحيبا بالقائد كيم جونغ ايل. وانه لا يسمح لاحد بقرع الجرس في الكنيسة، الا لمن تخرجوا من المدرسة التى تعلم طريقة قرع الجرس، وان الذين يقرعون الجرس الآن هم افضل اولئك الناس.
واضاف انه لمن القواعد الصارمة في الطقوس الارثوذكسية الروسية، ان يكون موعد قرع الجرس عند الظهر، حين تكون الشمس فى كبد السماء. ومع ذلك، يقرعون الجرس هذا اليوم فقط قبل الظهر، بخلاف تلك الاعراف. ثم جمع يديه ووضعهما على صدره، ثم مدهما للاسفل على مداهما وكأنه يريد الهتاف بحياة القائد. وقال بتأثر بالغ ما يلى:

"جاءت الشمس الى كنيستنا! ولمن الطبيعى ان نقرع الاجراس."

الشمس والفجر

حدث ذلك، اثناء اقامة تمثال الرئيس كيم ايل سونغ في الردهة عند مدخل قصر كومسوسان التذكارى، حيث يرقد الرئيس بملامحه الخالدة.

في ذلك الحين، احتدم نقاش بين المبدعين والمصممين بخصوص مسألة خلفية التمثال. فظهرت آراء مختلفة ومتنوعة، منها ما يدعو الى رسم منظر عام بالغ الضخامة والبهاء لبيونغ يانغ، او رسم منظر ساحر لبحيرة تشون على جبل بايكدو، او رسم منظر جميل من مانكيونغداى ... واخيرا، اجتمعت الآراء على ان معالجة الخلفية بالرسوم، لا تتطابق في كل الاحوال مع تمثال الرئيس، القائم في الردهة الاولى للقصر التذكارى.

ماذا نفعل اذن؟

بعد مواصلة النقاش وتكراره، توصلوا الى اتفاق على اكساء الجدار الخلفي للتمثال باحجار الرخام الابيض، لتكون الخلفية نظيفة، ووضعوا التصميمات على هذا النحو.

في احد الايام من كانون الثانى عام ١٩٩٥، جاء القائد كيم جونغ ايل الى قصر كومسوسان التذكارى ليعاين التصميمات، واعرب عن رأيه ناصحا بأن داخل الردهة سوف يبدو مثل قلعة، اذا تم وضع احجار الرخام في الجدار الخلفي، ناهيك عن ارضية الردهة وجدرانها. وبعد ان استغرق في تفكير عميق للحظات، اوصاهم بانه يجب معالجة الخلفية بطريقة طلائها بالدهان البلاستيكى الابيض، وانارتها باضواء الفجر. وعندئذ فقط، ستبرز رمزية تمثال الرئيس كيم ايل سونغ بملامح الشمس، بصورة اقوى.

"الشمس والفجر!"

وتعالت صيحات الاعجاب من افواه الناس. واخيرا، اكتملت خلفية التمثال. ان صورة الرئيس القائم بمهابة وخشوع، وانوار الفجر المتوهجة، تلفه من الخلف، اوقدت تأثرات لامتناهية فى قلوب الناس.

قال فلاديمير تولستيكوف، احد الشخصيات الاجتماعية الروسية ما يلى:

"بعد ان قدمت اسمى تحياتى، متطلعا الى تمثال الرئيس كيم ايل سونغ، لم استطع ابعاد ناظرى عن انوار الفجر التى بدت كأنها تنير انحاء الدنيا. اجل. انه لمن البديهى ان الفجر الذى يترافق مع الشمس، ويظل خالدا معها، يلقي بأنواره حيثما تطلع الشمس."

اللاتناهى

وقع هذا الامر في احدى الاسر الكورية.

حين كان الابن الاخير في تلك الأسرة، التلميذ فى الصف الاول من المدرسة الابتدائية، يتصفح اوراق التقويم على الحائط، فور قيامه من النوم في الصباح، تسمر في مكانه وكأنه متجمد، وهو يرى شهر تموز. وخضلت حدقتا عينيه، لان يوم الثامن اصبح مؤطرا باللون الاسود.

سرعان ما فتح الولد محفظة الكتب، واخرج منها مبراة معدنية، وراح يحك بها الاطار الاسود وهو يجهش بالبكاء.

وحين سأله الاب عن السبب، صاح بصوت باك.

"لماذا أشير الرقم ثمانية باللون الاسود على هذا النحو، رغم ان المارشال الاعلى لم يرحل عنا. لا بد ان يتضمن التقويم يوم ميلاده، لا يوم وفاته. هذا التقويم خاطئ."

عندما تلقى القائد كيم جونغ ايل هذا النبأ، لم ينبس ببنت شفة للحظات. وبعد مرور وقت معين، قال بصوت اجش ان مشاعر شعبنا الدائمة هى شوقه للزعيم الاب دون نسيانه، ويتمنى له الخلود. فمن المطلوب من الآن وصاعدا، الكف عن تأطير يوم الثامن من تموز باللون الاسود، في التقاويم الشهرية والسنوية.

وبعد ايام من ذلك، قال القائد كيم جونغ ايل فجأة، خلال حديث مع الكوادر عن الرئيس كيم ايل سونغ ان رقم ثمانية (8) يعنى اللاتناهى عند وضعه أفقيا(∞). تأثر الكوادر بحكمته، مذهولين امام رقم ثمانية (8)، الذى يؤرخ لمأساة اكبر حداد وطنى، وشارة (∞) التى تعنى الخلود.

أكد كيم جونغ ايل قائلا اننى سأحرص على ان يجرى على هذه الارض تاريخ الزعيم الخالد، مثل الاشارة الى اللاتناهى.

حل اللغز

حدث ذلك، حين قامت وزيرة الخارجية الامريكية مادلين اولبرايت بزيارة كوريا في تشرين الاول عام ٢٠٠٠.

في جلسة المأدبة التى حضرها القائد كيم جونغ ايل، طرحت اولبرايت فجأة على الحضور لغزا مفاده كيف يمكن الحصول على رقم ١٦ بالاصابع العشرة...

وفي لمح البصر، خيمت على قاعة المأدبة اجواء التوتر.

في تلك اللحظة بالذات، قال كيم جونغ ايل انه ليس هناك ما يدعو الى التفكير فيه بصعوبة، ثم اجمع يديه واشار الى علامة الضرب "X" بالابهامين، بالتزامن مع فتح بقية الاصابع الاربعة في كلتا اليدين.

أي ٤ × ٤! ...

آنـذاك، انطلقـت صـيحات الفـرح والتهالـيل فـي قاعـة المأدبـة. وكانـت اولبرايت أول من صفقوا.

تعجب العلماء

حدث ذلك فـي صـيف عـام ٢٠٠١، حين زار القائد كيم جونـغ ايل فرع سيبيريا لاكاديمية العلوم الروسية، اثناء زيارته الى روسيا.

بعـد ان وصـل كـيم جونـغ ايـل، يـرافقه الدلـيل مـسؤول الفـرع، امـام اللـوحات التوضـيحية التـى اعدوها لتوفير شرح بصري للانجازات البحثية للفـرع، كـان القائـد يقـارن شـروحات الدلـيل بالرسـوم البيانـية، ويتفـرس باهـتمام فـي القـيم والعلامـات والـصيغ المـسجلة التـى لا تعـد ولا تحـصى. وسـرعان مـا اومـأ برأسـه، وقـال مـشيرا الـى الخطـوط المنحنـية فـي الرسـومات، ان الـتوافق التقريبـى مـا بـين القيمة النموذجية والقيمة القياسية يعنـى ان النتائج البحثية جيدة جدا.

انـشرح صـدر الدليل لان القائد فهم بعمق انجازاتهم البحثية على عكس تـوقعه، وحتـى انـه اثنـى عليها. فـراح يشرح بشوق ولهفة، وهو يشير الى لوحات الجداول بجانب الرسوم البيانية.

بعـد ان استمع كـيم جونـغ ايـل لبـضع كلمـات مـن شـرحه، قـال لـه انـه يعرف ذلك، ودعونا نشاهد شيئا آخر.

حين استغرب الدلـيل الامـر، قـال كـيم جونـغ ايـل، مـشيرا الـى الجـداول والرسوم، ان هذه الجداول ما هى الا طبق اصل الرسم البيانى، فما الحاجة الى تكرار الشرح، ويمكنه فهم كل الاشياء، دون شرح عنها ايضا.

وقـع نفس الامـر، عندما زار القائـد كـيم جونـغ ايل مركز هورنيتشيف للعلوم الفضائية.

فبينما كان يطلع بالتفصيل على اجهزة البحث في المركز واحدا بعد الآخر، سأل المرافقين الروس عما اذا كانت المحطة الفضائية هى "مير".

رد عليه احدهم بالايجاب.

بعد ان لاحظ كيم جونغ ايل شكلها الخارجى للحظات، طلب ان يصعد فيها.

محطة "مير" هذه كانت مثار فخر الشعب الروسى لفترة طويلة، بكونها حصيلة جامعة وبلورة للعلوم والتكنولوجيا الكونية. ولذلك، اتخذت روسيا اجراءات خاصة للتعريف بها، عبر اختيار خبير قدير.

بعد ان دخل كيم جونغ ايل القمرة، جال ببصره حولها، واومأ برأسه، قائلا انه يعرف كل شيء، وذلك قبل ان يبدأ الدليل بالشرح. ثم اخذ يشرح بالتفصيل عن تكويناتها الداخلية، مشيرا الى هنا وهناك في القمرة، وان هذه كبينة الرائد الكونى، وتلك غرفة حياة الرواد، وهذا هو الرواق المؤدى الى الغرفة الاخرى، وذلك هو المخرج الى الفضاء.

قال احد الكوادر الروس في مجال العلوم ما يلى:

"كنت اعلم منذ زمان ان القائد كيم جونغ ايل رجل بارز يتحلى بالمعارف العميقة لكل الميادين. ولكن لم اعرف قط انه يتضلع في مجال العلوم الفضائية ايضا الى هذا الحد. حقا انه عبقرى مدهش."

٣) العمل المتفانى

رغم دوى الرعد

قام القائد كيم جونغ ايل بالدراسة والتحليل الشامل لمؤلفات ماركس وانجلز ولينين الهامة، في الفترة ما بين ايار عام ١٩٦٦ وتموز عام ١٩٦٩. وبلغ عددها ٣١ مجلدا بالاجمال، باعتبار كراريس مؤلف ماركس "رأس المال" الخمسة، كمجلد واحد.

قال كيم جونغ ايل، مستحضرا تلك الايام في ذاكرته، ما يلى:

"حقا اننى قرأت الكتب آنذاك، دون احساس باحتقان عيني، وتناقشت حولها حتى بح صوتي. في الواقع، كانت تلك الايام فترات غراء للمطالعة والدراسة."

وقعت هذه القصة ايضا في تلك الايام.

ذات يوم، كان الكوادر منكبين على قراءة احد المؤلفات الكلاسيكية التى سيقومون بتحليلها بعد عدة ايام، في المكتب بحضور كيم جونغ ايل.

فى حينه، ظلت الامطار تهطل بغزارة مع دوى الرعد والبرق، منذ نهار ذلك اليوم. لكن كيم جونغ ايل لبث يقلب صفحات الكتاب، دون اكتراث بذلك. ولم يصرف نظره عن الكتاب الا عند حلول المساء حيث أرخى الليل سدوله. دهش كيم جونغ ايل كثيرا، حين رأى الخارج عبر النافذة، حيث امسى مغمورا بالسيول.

"منذ متى هطل المطر؟"

"طوال النهار، مع دوى الرعد."

"لم انتبه لذلك ابدا، لاننى كنت منكبا على قراءة الكتب. لقد ربحت اليوم كثيرا، اذ اننى قرأت هذا الكتاب بالكامل بعد ظهر اليوم."

ابتسم كيم جونغ ايل ابتسامة عريضة، وبدا راضيا.

موقع الصيد بالصنارة في موفو

حدث ذلك في يوم من ايام ايلول عام ١٩٧١، عندما انهى القائد كيم جونغ ايل مع مرافقيه زيارة مخيم موفو، المقترن بآثار الرئيس كيم ايل سونغ التاريخية الثورية المناهضة لليابان.

"ايها القائد العزيز، هنا في اعالى نهر دومان كثير من سمك الشار النهرى، فما رأيك في الصيد بالصنارة؟"

وافق كيم جونغ ايل على اقتراح المرافقين بكل سرور. فهلل الجميع فرحين. وسرعان ما بدأ صيد الاسماك، وتعالت هنا وهناك صيحات الفرح، لصيد الاسماك على التوالى. ولكن، لم يبد اى حراك من جهة السد، حيث يرمي كيم جونغ ايل صنارته.

دنا احد المرافقين منه، مستغربا الامر، وتسمر في مكانه متجمدا، اذ رآه مستغرقا في تفكير عميق، دون احساس بتعلق سمكة كبيرة بطول ذراع الانسان بالصنارة، وعصا الصيد ما تزال متدلية فى مياه النهر.

فناداه: "ايها القائد العزيز! ..."

عندئذ، انتبه من لجة التفكير، وقال للمرافق ان المنظر الطبيعى في موفو جميل حقا، ولما جلس هكذا، وعصا الصيد مغمورة فى المياه، تفتحت آفاق فكره اكثر فاكثر فغاص فى عمق الافكار.

شعر الكادر بأسف شديد، حين ادرك ان سعيه الهادف للاطمئنان على

راحـة القائـد، لـم يكـن فـى محلـه. وحينذاك، تحدث القائـد بـصوت جهـورى لامس القلوب، قائلا:

فكروا! كم من التاريخ العنيف يقترن بمجارى هذا النهر واعماق تلك الغابة! لا يوجد في كل انحاء من العالم رجل مثل زعيمنا، قاد الثورة مجتازا مثل هذه الدروب الوعرة. وكما يتغنى شعبنا، فان زعيمنا بطل اسطورى تجسدت فيه روح جبل بايكدو، واعظم العظماء الذين يعرفهم التاريخ الحديث. ان افكاره الثورية العظيمة لا تقارن بأى مؤلفات كلاسيكية، من حيث الحجم والعمق، كما ان تاريخه الثورى يعد ملحمة بطولية خالدة ينبغى للبشر الاحتفاظ بها في قلوبهم الى ابد الآبدين. ...

وبعد لحظة صمت، قال بصوت اجش، اننا لم نوضح بعد بصورة صحيحة المكانة التاريخية العالمية لافكار الزعيم الثورية. ومضى في الحديث، اننا لم نحدد بعد افكاره الثورية في صيغة الكيمئيلسونغية، فى وقت تملأ فيه فكرة زوتشيه العظيمة، افئدة مئات الملايين من شعوب العالم.

ومن ثم، ردد مع نفسه عبارة "الكيمئيلسونغية! ...". دوى صوته الجهورى شاقا عنان الغابة الساكنة، وقال:

"مثلما يبقى جريان نهر دومان خالدا، كذلك ستشع الكيمئيلسونغية بنورها كراية لنضال الشعوب ليس في عصرنا هذا فحسب، بل في المجتمع الشيوعى العتيد."

التفكير المجسم

حدث ذلك في احد الايام من آذار عام ١٩٨٧، حين توجه احد الكوادر الى مكتب القائد كيم جونغ ايل، وفي يده تقارير طلبها منه.

رن جرس الهاتف فجأة، عندما كان منكبا على الكتابة. قال للكادر

"لحظة..."، فيما أشار له بالجلوس. وبعد انتهاء المكالمة، طلب منه ان يتحدث مسرعا عما لديه من التقارير.

لبث الكادر ينتظر جالسا على المقعد بهدوء، معتقدا ضرورة ان يبدأ الحديث عن التقارير الهامة المطروحة عن الوضع الدولى، بعد انتهائه من الكتابة.

"تفضل بالحديث، بغض النظر عن انشغالي."

حثه كيم جونغ ايل على الاسراع بالحديث، وهو يواصل الكتابة.

قام الكادر من المقعد بشيء من التردد، وراح يسرد التقارير.

وبين الفينة والاخرى، يقول كيم جونغ ايل انه على علم بتلك التقارير، ثم يسأله عن الوقت الذى تعود اليه هذه التقارير. ولم يكتف بالاصغاء الى التقارير، بل يحللها ويقيمها على الفور.

من المعروف ان كتابة الخطابات او تحليل الاوضاع يعد من الاعمال الفكرية بالغة الصعوبة، التى تتطلب تفكيرا عميقا. وكذلك يعتبر التفكير في امرين بدماغ واحد، وكتابة المقالات من جهة، والتفوه بالكلام من جهة اخرى، مع اجراء التحليل والجمع والاستنتاج والتحكيم، امرا من رابع المستحيلات.

عندما عرف الكادر، في وقت لاحق، ان المقالة التى كتبها كيم جونغ ايل في ذلك اليوم، هى مؤلف هام يتعلق بتشديد التربية الفكرية، لم يتمكن من كبح لجام دهشته.

شكوك أحد الكوادر

ذات يوم من أيار ١٩٨٩، حدث ان رفع احد الكوادر المسؤولين في اللجنة المركزية لحزب العمل الكورى، رسالة الى القائد كيم جونغ ايل. جاء فيها ما يلى:

"الرفيق القائد العزيز،

ما ان عدت من اشتراكى معكم في حفل تدشين دار السينما الدولية، حتى وجدت الوثائق عليها توقيعكم الكريم. قد رفعها قسمنا بعضها صباح اليوم، والاخرى رفعتها عند مغادرتى محافظة كانغواون فجرا.

شعرت بذهول حقيقي لدرجة اني شككت في عينى، ولم استطع كبح دهشتى واعجابى. في اى وقت، اطلعتم على هذه الوثائق ووقعتم عليها، يا ترى؟

عندما غادرنا محافظة كانغواون، قلتم انكم ستأخذون غفوة عابرة في داخل السيارة السائرة، ووصلتم الى بيونغ يانغ في هذا الصباح وتناولتم الفطور. وبعد ذلك، حضرتم مباشرة حفل تدشين دار السينما الدولية. اذن، في اى وقت، عاينتم تلك الوثائق؟

لم اتمكن من حل هذا اللغز اطلاقا بفكرى، فأمسكت بالقلم.

بالنسبة لي، فقد غادرت محافظة كانغواون معكم في نفس الوقت، وغفوت في داخل السيارة. وبعد وصولى الى بيتى، تناولت الطعام وغيرت ملابسى. فلم يكن لدى متسع من الوقت لاتصل بالسكرتير هاتفيا، واخبره بوصولى الى بيونغ يانغ.

وفيما أرى الوثائق التى وقعتم عليها، اشعر الآن بتأنيب الضمير.

ولكن، في اى وقت تحديدا، عاينتم الوثائق الثلاث، ووقعتم عليها، ايها القائد العزيز؟

هذا لغز لا يمكننى ان احله اطلاقا، فارجو منكم ان تحلوه لى، لطفا."

وبعد مرور ثلاثة ايام على ذلك، قال كيم جونغ ايل له، في جلسة لقائه، ما يلى:

"تستغرب الامر، وتتساءل عن اى وقت اعاين الوثائق واصدرها. لا شىء فى ذلك يستحق الدهشة. أليس لدى الكثير والكثير من الاعمال التى يجب ان اقوم بها؟"

واضاف قائلا انه عندما وصلت الى المكتب في الفجر، بعد رحلتى معك، وجدت كومة من الوثائق. فما ان دخلت الى الغرفة حتى بدأت أعاين

كل تلك الوثائق واوقعها لاصدارها. وحين نظرت للساعة بعد ذلك، كان الموعد قد اقترب لبدء الحفل، فتناولت مجرد قطعة من الخبز مع الماء، وكدت أخرج من المكتب. وعندذاك، جاءتنى وثيقة اخرى مستعجلة، فرأيتها وانا امشى على السلم، دون ان اغير ملابسى. وابتسم وهو يقول للكادر، أليس فى ذلك جواب للتساؤلات فى ذهنك؟

غرق الكادر المسؤول في تفكير جدى، وقال:

"ايها القائد العزيز، انكم لستم مجرد فرد، بل وطننا وحزبنا بالتحديد.. اعتزم ادراج مسألة عدم تناولك لوجبة طعامك، في جدول اعمال اجتماع المكتب السياسى."

قال له كيم جونغ ايل:

"أ تنوي بذلك مجرد ابلاغ العالم بالجواب الذى اخذته مني عن تساؤلاتك؟! افعل كما تشاء. ولكن، يا سيد، اذا افشيت اليك الاسرار الشخصية باخلاص، فيجب عليك ان تحفظها باخلاص، أ ليس ذلك امرا عقلانيا؟"

واستطرد في القول:

ليس من طبعى ان اؤجل عمل اليوم الى غد. ومن غريزتي اننى لا استطيع تجاهل الوثائق الموضوعة على الطاولة، والتى يجب على ان أقرأها، حتى لو كانت واحدة فقط. وانا ايضا انسان، وعليّ ان اتناول الطعام اذا جعت، وانام عندما أتعب. ... لم لا يغلبنى التعب، ولا النوم بعد التعب؟ فقط، أننى اتحمل كلا منهما، واصبر عليهما.

حتى الى اعماق النفق البعيدة

يشتهر جبل ماتشون بعلو قممه وعمق وديانه، الى الحد الذى جعل هذا الجبل مضمون اسطورة تقول ان ماردا اضطر الى حني جسمه

عند عبوره على صهوة جواده في قديم الزمان، خشية لاصطدام قمة خوذته بالسماء. لكن القائد كيم جونغ ايل، زار منجم كومدوك الذى يقع عند سفح هذا الجبل الشاهق الوعر، في الاول من شهر تموز عام ١٩٧٥.

ما ان نزل من القطار، حتى اطلع من الكوادر أولا على حالة المنجم، وتفقد ورشة تركيز خامات المعادن، حيث ألهم عمالها قوة وجرأة، ومن ثم توجه الى احد الانفاق. فتوسل اليه الكوادر في المنجم، ومرافقوه، والفنانون الذين جاؤوا لتقديم عروضهم الفنية لاثارة حماسة العمال، ألا يدخل النفق.

قال كيم جونغ ايل، وهو يجول بناظريه حولهم: لم لا ادخله، مادام الزعيم العظيم قد زاره، والعمال يعملون فيه؟ لا تهتموا بذلك. لماذا جئنا هنا اذن، اذا لم ندخل النفق؟ ينبغى علينا ان ننزل الى اى مكان يعمل فيه عمالنا الاعزاء، مهما كانت المسافة والانحدار. اذا لم ننزل الى النفق وعدنا ادراجنا، نحن الذين جئنا لنرى عمال المنجم، كم ستكون حسرتهم كبيرة! لا تقلقوا بشأنى، تفضلوا بالنزول.

لبس كيم جونغ ايل قبعة الامان العادية المصنوعة بالاغصان، وركب العربة التى يستعملها العمال، ونزل بها الى عمق النفق.

حين وصلت العربة به الى نهاية النفق، هرول العمال اليه مسرعين، وهم يطلقون هتافات "عاش!" بأعلى اصواتهم. امسك كيم جونغ ايل بأيدى العمال بلا تكليف، وشكرهم جميعا على جهودهم في العمل.

تقدم اليه احد العمال القدامى قائلا: "لم انت في هذا النفق الوعر...؟". ولم يكمل كلامه، بل ظل يتهدج، وكتفاه تهتزان.

فقال كيم جونغ ايل له.

"لقد جئت شوقا لرؤية العمال الذين يعملون في اعماق النفق."

شق درب التسلق على جبل ميوهيانغ

في شهر ايار عام ١٩٨١، اعتزم القائد كيم جونغ ايل شق درب تسلق جديد على جبل ميوهيانغ، عبر تنظيم بعثة جولات استطلاعية من الكوادر المسؤولين في العاصمة، وراح ينطلق على الطريق.

قال له احد الكوادر المرشدين ان الطريق وعرة. ولكنه واصل خطاه في مقدمة الصفوف، قائلا ان ذلك لن يثني عزمه، وان الصعود لقمة الجبل يلزمه اصلا تسلق الدروب الوعرة.

عندما وصل افراد البعثة الى شلال مورونغ، اكفهرت السماء فجأة، كما لو أن المطر سيهطل فى الحال. فاقترح الكوادر عليه العودة، لانه قد حدد فعلا مسارات الرحلة الاستطلاعية. ولكنه غذ سيره في مقدمتهم، قائلا ان الطقس الغائم قليلا لا يهمه كثيرا، ولا بد من الصعود حتى النهاية.

وتساقط المطر الهتون، لدى وصوله الى حافة المياه الواقعة فوق شلال يوسون، مرورا بالسلم المعلق الحرج، بعد تفقد برك بال (البرك الثمانى).

كان مسارهم التالى هو المرور من تحت صخرة مائلة، زحفا على بطونهم. ولكن، حتى ذلك الممر الضيق كان زلقا بفعل مياه المطر. والأسوأ من ذلك، ان الصخرة الماثلة امامهم بدت كما لو انها ستسقط في الحال، بسبب تشققاتها.

وقف الكوادر امامه، وطلبوا منه بنبرة حازمة ان يعود ادراجه. لكنه نصحهم مبتسما: لماذا تتصرفون هكذا امام هذا الطقس العادى، طالما جئنا للجبل، علينا ان نكون مستعدين لكل شىء ومنه المطر. ان مرورنا الصعب من تحت الصخرة، سيكون امتع شىء فى صعود الجبل. ومضى في الحديث، قائلا:

افهم مشاعركم، وانتم الذين تقلقون بشأنى. ولكن، دعونا نواصل الجولة. لم نأت الى هنا للراحة. ولا يمكننا التعرف على مسارات التسلق بالتفصيل، الا عندما نسلكها في مثل هذا الطقس الماطر المعقد.

وحين وصلوا الى شلال بيسون، توقف المطر، وبرز قوس قزح ساحر على خلفية ستارة مياه الشلال البيضاء التى تتساقط من اعالى الجرف القائم بارتفاع عشرات الامتار.

اطلق المستطلعون التهاليل والهتافات وهم فى غاية الاعجاب بذلك المنظر.

في ذلك اليوم، سألهم كيم جونغ ايل عن انطباعاتهم في الجولة، واعطاهم تعليمات مفصلة لترتيب مسارات الصعود، لجعلها اكثر أمنا وتسهيلا، محذرا من احتمال وقوع حادث بين الزوار، نظرا لانحدار الدروب وتواضع مرافق الامان.

١٥٢ منعطفا في جبل اوسونغ

حدث هذا الأمر في يوم من ايام آب عام ١٩٩٨، حين زار القائد كيم جونغ ايل، جبل اوسونغ الواقع على خط الجبهة الامامى. كان ذلك الجبل الذى يربو ارتفاعه على ١٠٠٠ متر عن سطح البحر، يتألف من أجرف سحيقة وأودية عميقة، ناهيك عن وقوع مخافر العدو على مرمى البصر.

عندما حاول كيم جونغ ايل الصعود الى جبل اوسونغ، مانعه الكوادر متوسلين اليه.

"ايها القائد الاعلى، من المستحيل الصعود الى المرتفع لان الممرات

جرفتها المياه بفعل الامطار الغزيرة، وتقطعت بعض الطرق. فنرجوكم ان تصعدوا اليه بعد صيانة الطرق."

وقال آخرون:

"تفضلوا بقبول طلبنا هذه المرة وحدها."

بعد ان رأى نظراتهم المليئة بالتوسل، تطلع الى الممرات الجبلية السحيقة. وقال: **"اشكركم على مشاعركم للاعتناء بى ..."**.

ومع ذلك، لم يغير عزيمته. وقال انه لا يمكنه الكف عن الصعود الى المرتفع، بعد ان جاء الى هنا، ومادام رجال الجيش الشعبى يتواجدون فيه. لا يمكن للقائد الاعلى ان يعرف حياة جنوده جيدا، الا عندما يسلك ممرات الجبل الوعرة في الجبهة في مثل هذا الطقس السيئ، كما نراه اليوم. ثم، ركب سيارته الميدانية بتصميم حازم.

راحت السيارة تتسلق المرتفع نحو مقر القيادة الميدانية للخط الامامى على قمة الجبل، مرورا بـ ١٥١ منعطفا. كان هيكل السيارة يهتز بعنف دائما، لان الطرق وعرة وغير ملائمة ابدا، وعلى جوانبها تنتشر الاعشاب والاشواك، بعد انتزاعها من الجذور، بفعل الرياح العاتية والامطار الغزيرة، ولم تبق فيها الا احجار غطتها المياه الترابية المتدفقة. وتراءت على جانبى الطرق هوة سحيقة. في هذا الوضع، بلل العرق ايدى الجميع، واذا بعجلة السيارة تنفجر بفعل نتوء صخرة حادة، مع دوى صوت مروع.

عادت السيارة تتقدم الى الامام، بعد تبديل العجلة بالاخرى الاحتياطية. وعندما دارت السيارة عدة منعطفات، اخذت تترنح فجأة، وبدأت تميل نحو الجرف. في تلك اللحظة الحرجة المثيرة للقشعريرة، حول السائق ناقل الحركة بقوة، الأمر الذى عزز قدرة السيارة لصعود الطريق لحسن الحظ. ومع ذلك، لم يظهر على كيم جونغ ايل، اى رد فعل سوى قلقه على السيارات الاخرى لأنه لم يراها جيدا وراءه.

واخيرا، صعدت السيارة الى منتصف الجبل. آنذاك، أصم الآذان صوت انفجار العجلة الاخرى. فنزل السائق، المتصبب عرقا، من السيارة مسرعا، وبدل العجلة. لم تبق لديه الآن سوى واحدة من العجلات الاحتياطية.

كانت السيارة تصعد نحو قمة الجبل مرة اخرى، واذا بالعجلة تنغرز فى مكانها ثم راحت تنزلق الى الاسفل. استشف كيم جونغ ايل خطورة الوضع، فنزل من السيارة واخذ يدفعها بكتفه. تلاه المرافقون يدفعون السيارة شبرا شبرا. وبعد شق الأنفس، وصلت السيارة بهم الى مقر القيادة للخط الامامى، بعد دورانها ل١٥١ منعطفا.

قدم كيم جونغ ايل تحياته للجنود قائلا:

"السلام عليكم. كم هى متاعبكم كبيرة في خط الجبهة الامامى!"

لم يستطع قائد الوحدة تقديم تحياته، استقبالا له، بل اخضلت عيناه بالدموع، وهو يرى ملابسه المبللة بمياه المطر والملطخة بالمياه الموحلة. وبعد لحظات فقط، قال له والكلمات تختنق فى حلقه:

"ايها القائد الاعلى المحترم، انت الآن بيننا، وهذا مكان خطير..."

سيارة الميدان المغطاة بالثلوج

في احد الايام من كانون الاول، فى العام الاول من الالفية الثالثة، حملقت عيون جنود احدى السرايا الواقعة في ابعد مكان واكثره وعورة من بين سرايا خط الجبهة الامامى، من جراء واقعة سعيدة، لكنها مذهلة. واذا بالقائد كيم جونغ ايل ظهر في سريتهم! ربما كانت كافة الطرق مسدودة بسبب الثلوج الكثيرة التى سقطت بمقدار حوالى ٣٠٠ مم في المنطقة في غضون الليلة الماضية.

بعد برهة من الذهول، احاط به الجنود وهم يطلقون صيحات الفرح. فقال كيم جونغ ايل وهو يجول بناظريه حولهم، وعلى محياه ابتسامة وضاحة، انه جاء اليهم اليوم، شوقا الى الجنود الذين يتجشمون اكبر العناء والمشقة للدفاع عن مخافر خط الجبهة الامامى.

ظل الجنود يفكرون كيف جاء اليهم على هذه الطرق الثلجية الخطيرة.

بعد ان غادر القائد سريتهم، روى احد الكوادر لهم ما يلى:

حدث ان زار القائد كيم جونغ ايل احدى المحطات الكهربائية التى بناها رجال الجيش، قبل مجيئه الى هذه السرية. لم ينبلج الضياء بعد، ولم تر في الدنيا الا ثلوج بيضاء. في تلك الظروف، اقترب من المحطة عمودان افقيان من ضوء مصباح السيارة، يشقان لجة الظلام فجأة.

ذهل الكوادر المقيمون فيها من هذا الامر. صحيح انها سيارة، ولكنها بدت كومة من الثلوج تتدحرج، بدون أى هيئة. اقتربوا منها ولم يروا سوى كومة من الثلوج، ما عدا الزجاجة الامامية المكشوفة قليلا. تسمر الكوادر في مكانهم، مقتربين من السيارة، اذ رأوا القائد كيم جونغ ايل ينزل منها.

ثم نقل الكادر للجنود، الذين بقوا متأثرين بهذه القصة، تعليمات القائد كيم جونغ ايل، وهى:

"في الواقع ان الوقت لم يتسع لى هذه المرة ايضا. ولكن توارد الى ذهنى، انكم الذين تدافعون عن مخافر خط الجبهة الامامى، تنتظروننى اكثر من الآخرين، عشية حلول نهاية السنة. فقمت من النوم في الساعة الرابعة فجرا وجئت الى هنا، رغم خلودى للنوم بعد الساعة الواحدة، منتصف ليلة هذا اليوم. الليل داج، والدروب موعرة لكثرة الثلوج، لكنى شعرت بانشراح الصدر وخفة الخطى، وانا اغذ السير نحو مخفر خط الجبهة الامامى."

موقع الدوش الذى لا ينساه

ذات يوم من شهر آب عام ٢٠٠٨، زار القائد كيم جونغ ايل احدى وحدات الجيش، حيث تفقد كل ما في السرية من غرفة النوم والمغسلة والمطعم، وحتى مستودع الحاجيات اليومية، ثم ذهب الى سد المحطة الكهربائية الذى بنته السرية بقواها الذاتية.

كانت مياه تتساقط وهي ترش رذاذا ابيض، من على السد الذى تم بناؤه بين وادى الجبل، بعد حجز المياه الجارية. لقد بنت السرية موقع دوش الاستحمام ليستفيد الجنود منه، فيأخذون حماما ودوشا في اوقات الراحة من التدريب.

بعد ان تلقى كيم جونغ ايل هذا التقرير، اثنى على صنيع السرية، قائلا ان الجنود سيرتاحون كثيرا، اذا اخذوا الحمام بالدوش في ايام الصيف القائظة هذه، وقد استغلت السرية المياه الفائضة من السد، بشكل فعال.

وسأل، وهو يقول ان موقع الدوش لائق جدا:

"هل توجد هناك الاسماك؟"

"لا توجد. لكننا سنطلقها هنا قريبا ونربيها."

"لا، لا تفعلوا ذلك اطلاقا! دعوا الجنود يستمتعون بالحمام بالمياه الصافية."

اطال النظر الى موقع الدوش وكأنه يتصور مع نفسه الجنود الذين يبردون اجسادهم، بينما بدت ياقة بدلته الميدانية مبللة تماما بالعرق المتصبب.

الحرارة في عز الصيف القائظ، والارض الساخنة بأشعة الشمس

اللافحة، ولا نسمة هواء ... وحتى في هذا الجو الحار الذى يحرق حتى اوراق الاشجار ويدفع الطيور نحو شاطئ المياه لتندية اجسامها، يواصل القائد كيم جونغ ايل طريق توجيهاته الميدانية. فيا لها من متاعب ومشقات يتحملها برحابة صدر!

بعد ان غادر السرية، صرح كيم جونغ ايل بما يدور في خلده قائلا:

ما يزال موقع الدوش في سرية هوانغتشولنامو يتراءى امام عينى حتى الآن من حين لآخر. وفيما انا أراه ينثر رذاذا منعشا تحت قدمى، فى حين كان العرق يتصبب في كل انحاء جسمى، دفعتنى رغبة عارمة في تبريد جسمى فورا. ...

ورغم ذلك كله، ظل القائد كيم جونغ ايل دائما على طريق توجيهاته الميدانية.

الظهور كالبرق في الشرق والغرب

لم يستطع جميع ابناء الشعب الكورى ان يتمالكوا دهشتهم، حين سمعوا من خلال الصحف والاذاعة في يوم السبت، نبأ زيارة القائد كيم جونغ ايل لمحافظة هامكيونغ الجنوبية في منطقة السواحل الشرقية، لتوجيه شؤونها على الطبيعة. ولكنهم سمعوا يوم الاثنين، اى بعد يوم من ذلك، نبأ وصوله الى ارض راكواون في شمال غربى كوريا. ففكروا:

انه يظهر كالبرق في الشرق والغرب! حقا ان توجيهاته الميدانية تجرى على غرار جيش حرب العصابات، الذى قطع مسافة ألف رى، بوثبة واحدة! ...

كان ذلك صحيحا في الواقع. اذ انه ركب القطار فور انتهائه من توجيهاته الميدانية لمحافظة هامكيونغ الجنوبية حتى ساعة متأخرة من ليلة

السادس من شباط عام ٢٠٠٩، وسار اكثر من الف رى نحو شمال غربى البلاد، انطلاقا من منطقة السواحل الشرقية، حتى دخل فناء مؤسسة راكواون المتحدة للآلات في يوم الاحد، الثامن من شباط.

تجلت على وجهه علائم التعب والاعياء التى تراكمت اثناء الرحلة الطويلة، حين قال انه جاء الى هنا مباشرة، فور انتهاء توجيهاته الميدانية للمصانع والمؤسسات في محافظة هامكيونغ الجنوبية، نظرا لأهمية صنع فرازة الاوكسجين الكبيرة، رغم انه لم يمض سوى ثلاثة اشهر على مجيئه الى هنا قبل هذه المرة.

(كيف وصل الى هنا في يوم الاحد قاطعا رحلة طويلة، غير آبه بصحته، مهما كانت الاهمية كبيرة ومستعجلة لصنع فرازة الاوكسجين الكبيرة!؟...)

لم ينبس كوادر المؤسسة ببنت شفة، امام هذا الأمر المذهل.

بعد ان تبادل القائد التحية مع الكوادر في مؤسسة راكواون المتحدة للآلات، سرعان ما بدأ يتفقد عمليات الانتاج في مصنع فرازة الاوكسجين وقال بنبرة تنم عن الجد:

ان تحديث عمليات إنتاج الاسمدة في مؤسسة هونغنام المتحدة للاسمدة، مرهون بصنع فرازة الاوكسجين وارسالها للمؤسسة في حينه. وكما تعرفون انتم، لا يمكن حل مسألة الاسمدة الا بتحديث مؤسسة هونغنام المتحدة للاسمدة. ...

وحين سمع القائد، مسؤول المؤسسة وهو يتعهد ويقسم على صنع فرازة الاوكسجين عالية الجودة، وارسالها الى هونغنام، بحلول ذلك اليوم الذى يريده القائد، حتى ولو اطبقت السماء على الارض، قال له ما يلى:

"بما ان مؤسسة راكواون المتحدة للآلات مستعدة لتنفيذ المهمة التى اسندتها اليوم اليها تنفيذا كاملا، فلا داعى للقلق من مسألة فرازة الاوكسجين، على ما يبدو لى."

حساب عدد القطارات

حدث ذلك في احد الايام من تموز عام ٢٠٠١، حين كان القائد كيم جونغ ايل في رحلة طويلة بالقطار، لزيارة تاريخية لروسيا الاتحادية.

انكب القائد على العمل، غير عابئ بوجبة الطعام، وتوجه الى مقصورة الطعام بعد مرور وقت الغداء بكثير. وحين رأى احد الكوادر وهو يطيل النظر الى الخارج عبر النافذة، سأله عن تفكيره الملي.

سرعان ما ادى الكادر التحية له، وقال انه يفكر مليا في كيفية اداء المهمة التى اسندها القائد اليه قبل اليوم، على افضل صورة.

رد كيم جونغ ايل عليه قائلا انه لأمر طيب ان يفكر الكوادر بعمق في كل الامور، ويدققوها ليتأكدوا من عدم وجود أى ثغرة فيها. ومن ثم اجلسه الى جانبه داعيا اياه لتناول وجبة الطعام معا، وسأله عن جوهر تفكيره طوال الرحلة المستمرة عدة ايام، من هاسان الى هنا.

لم يتجرأ الكادر على الاجابة، بل قال مترددا:

"خطر في بالي ان اراضى سيبيريا شاسعة جدا، وان الشعب الروسى قد تجشم عناء كبيرا لبناء هذه الخطوط الحديدية العابرة للقارة."

اومأ القائد برأسه خفيفا، واشار الى انه فكر في مسائل واقعية اكثر من هذه، وقال:

"منذ دخولى الاراضي الروسية، عددت كم من القطارات مرت بالقطار الذى يقلنا، دونما استثناء... عددتها في النهار عبر النافذة، وفي الليل بأصوات مرورها. وفي سياق ذلك، خمنت حالة تكوين العربات، وكميات الشحنات المحملة فوقها تقريبا. وحين كنت اغمض عينى لحظات

بسبب التعب، كلفت شخصا آخر بعدها."

كانت نبرة الحديث خافتة، لكنها هزت نياط قلبه بشدة.

قال القائد بدفء للكادر، الذى غمره التأثر البالغ، انه اذا مررنا باراضى سيبيريا الشاسعة دون تفكير، ونحن نجتازها لساعات طويلة بالقطار، لفاتتنا فرصة سانحة للاطلاع على روسيا، مؤكدا انه لا يجوز لنا اغفال اية نقطة نراها، عند رؤية الاشياء او الظواهر.

يمكن القول ان عدد القطارات التى تمر فوق خطوط سيبيريا الحديدية، تافه جدا، بالنظر الى أهمية ومغزى زيارته التاريخية الى روسيا. بيد انه لم يأخذ هدير تلك القطارات على محمل الجد فحسب، بل ادرك بعمق من خلال ذلك، الدور الذي يؤديه النقل بالسكك الحديدية في تنمية الاقتصاد، واسترسل في التفكير لتطوير النقل السككي في كوريا.

القطار والبيت

ذات يوم من ايلول عام ٢٠٠٩، حين كان الشعب الكورى يخوض حملة الاقتحام العام في بناء الدولة القوية والمزدهرة، بتأجيج لهيب النهضة الثورية الكبرى الجديدة، اعرب القائد كيم جونغ ايل للكوادر عن رغبته في الذهاب الى موقع بناء محطة هويتشون الكهربائية مرة اخرى.

رجاه الكوادر ان يأخذ ولو قسطا قليلا من الراحة، اذ انه ظل على طريق المسيرة الحثيثة للتوجيهات الميدانية دون راحة، منذ ذلك اليوم الذى دعا فيه ابناء الشعب في البلاد كلها الى خوض معركة ١٥٠ يوما لتوفير منصة وثب لبناء الدولة القوية والمزدهرة، وطلبوا منه قائلين:

"ايها القائد العظيم، نرجوكم ان تكفوا عن فكرة الذهاب الى موقع بناء محطة هويتشون الكهربائية، لانه بعيد ووعر."

فرد عليهم القائد بما يلى:

كلما اغادر للتوجيهات الميدانية، يخطر ببالى أن جنودى موجودون حيثما اذهب الى وحدات الجيش الشعبى، وابناء شعبنا موجودون حيثما اذهب الى المصانع او المزارع، الامر الذى يجعلنى اسافر بخفة وانشراح، رغم صعوبة الرحلات. يرد في خاطري انه يوجد جنودى وابناء شعبى في موقع بناء محطة هويتشون الكهربائية ايضا، ولذا امضى في طريق التوجيهات الميدانية، تقربا منهم. اراه فخرا كبيرا ان اسير على الطرق البعيدة والوعرة، بحثا عن الجنود والشعب. ...

آنذاك، قال له أحد الكوادر مرة اخرى.

"ايها القائد المحترم، ان مسافة توجيهاتكم الميدانية بالقطار هذا العام تساوى مسافة سفركم بالقطار لمدة السنوات العشر الماضية."

اوصاه الكوادر بأن يعتنى بصحته، دون افراط في العمل.

فقال لهم القائد:

يساورنى احساس وانا في القطار، كأننى في بيتى، واشعر كأننى دخلت فندقا عاما، اذا دخلت بيتى. ربما لأنني تعودت الآن على الحياة في عربة القطار.

٤) المحبة

فتاة تجمع الاصداف

في احد الايام الشتوية، وقعت حادثة اختفاء فتاة كانت تجمع الاصداف على الشاطئ المنعزل في بحر كوريا الغربى.

في الواقع، ان الفتاة ذهبت لجمع الاصداف مع اهالى القرية، بالاستفادة من فترة الجزر، ثم ابتعدت عنهم بمفردها. وعند غروب الشمس، تدفقت مياه المد في الاجزاء المنخفضة، حتى سدت الطرق امامها. لقد ارخى الليل سدوله، وانسابت الفتاة الى عرض البحر الهائج، على قطعة من الجليد مع مياه الجزر.

وعلى البر، ناداها اهالى القرية بلهفة وبأيديهم الشعلة، وانطلقت حتى عدة سفن لاغاثتها. لكن كل الجهود ذهبت سدى، بينما كانت الامواج تتلاطم بالصخور في البحر المظلم.

بعد ان عرف القائد كيم جونغ ايل بهذا الخبر، سرعان ما نظم عمليات الاغاثة الطارئة. اذ انه حرص على تعبئة طائرات الهليكوبتر من الجيش الشعبى، وارسل كوادر لجنة الحزب المركزية الى موقع الحادث من جهة، واتخذ اجراءات طارئة لتعبئة كل وحدات الجيش وقوات الحراسة المرابطة في جوارها من جهة اخرى. وهكذا، جرت عمليات الاغاثة واسعة النطاق جوا وبحرا وبرا لانقاذ الفتاة. ولكن العثور عليها في ظلمة الليل والبحر المتلاطم بالامواج، كان من رابع المستحيلات في الواقع. واخيرا، انبلج

الفجر بعد مرور الليلة الشتوية الطويلة، دون العثور على الفتاة الضائعة.

ظل القائد يتابع الوضع عن كثب من حين لآخر، ثم قال بصوت حازم انه يجب انقاذها بأى وسيلة، ولا يمكن رفع تقرير له، قبل نجاتها.

بعد مرور عشرين ساعة، منذ الشروع في عمليات اغاثتها، وردت اشارات اللاسلكى من احدى طائرات الهليكوبتر:

"العثور على الهدف!"

اخيرا، اكتشفت الطائرة فتاة تعوم على قطعة الجليد المندفعة هنا وهناك بفعل الامواج العاتية.

وسرعان ما نقلت الفتاة الى المستشفى، حيث خضعت لعلاج الاسعاف المركز وعادت الى وعيها. هتف جميع الناس المحتشدين في المرفأ، ناهيك عن اهاليها، مهللين، متعانقين بعضهم البعض، حين سمعوا هذا الخبر.

بعد ان تلقى القائد كيم جونغ ايل نبأ انقاذها، عاد لعمله الكثير أمامه، وكأن هما كبيرا زال عنه في ذلك الحين.

من اجل ثلاثة عمال منجم فحم

في احد الأيام من شهر آب عام ١٩٧٥، عرف القائد كيم جونغ ايل ان ثلاثة عمال في احد مناجم الفحم الواقعة في شمالى المنطقة، تعرضوا لموقف حرج مفاجئ. كانت حالة المصابين يائسة. اذ جاء فى تقرير الاصابة ان حالة الحروق فى كافة انحاء الجسم وهي من الدرجة الثالثة، وحالة اغماء تام، واستحالة النجاة...

في مساء ذلك اليوم، استدعى القائد كيم جونغ ايل احد الكوادر، وقال له:

"هل كنت تعرف حقيقة ان حياة العمال في منجم سانغهوا الشبابى للفحم في خطر؟"

"نعم، لقد تلقيت تقريرا عن ذلك."

"لماذا لم تخبرنى بذلك في الحال؟"

"خشية ان يسبب لكم القلق..."

"هل ذلك معقول؟ ان قلقى لا يعني شيئا، فى وقت تتعرض فيه حياة عمال الفحم لخطر محدق. لا يوجد ما هو اهم من انقاذ حياة عمال الفحم."

"لقد أخطأت."

"اذن، ما هى الاجراءات التى إتخذتها؟"

"اتصلت هاتفيا بلجنة الحزب في المحافظة، واكدت ضرورة اتخاذ اجراءات متكاملة."

سكت القائد برهة لكنه غير مرتاح ابدا، ثم وبخه بنبرة صارمة قائلا:

لقد اوصيتكم عدة مرات بأن تكون افئدتكم دافئة بمحبة الناس. ولكن، لا أدري متى تستعيدون رشدكم. هل يكفي انك اتصلت هاتفيا بلجنة الحزب في المحافظة ووزارة الصحة لاتخاذ الاجراءات العاجلة، مادامت حياة عمال الفحم مرهونة بعامل الوقت؟ ان الشعب يتبع حزبنا، مناديا اياه بالحزب الام. ولكن، هل لديكم المشاعر الجديرة بالأم ولو قليلا، يا ترى. ...

لم يستطع الكادر ان يرفع برأسه.

وسرعان ما أمره القائد باتخاذ الاجراءات الطارئة العاجلة لانقاذ العمال من جهة، ومن جهة اخرى، تعبئة كل الاطباء الاكفاء وادوية الطوارئ، وارسال طائرة رغم عمق الليل.

"حاضر."

لكن الطائرة المدنية لم تستطع الطيران بسبب هطول الامطار الغزيرة. فاذا به يوصي بإرسال طائرة عسكرية على الفور.

وفي وقت لاحق، حين تلقى القائد تقريرا بان العمال يعانون آلاما لعدم

تهدئة اجسامهم المتورمة، قال بنبرة تنم عن القلق.

بلغنى ان اجسام عمال المنجم هؤلاء قد انتفخت. ويقال ان البطيخ الاحمر والبيرة مفيدان لتهدئة تورمها. يجب ارسال البطيخ والبيرة الى العمال المصابين في منجم سانغهوا الشبابى للفحم، مع الادوية، وذلك في غضون اليوم على متن طائرة عمودية. ...

بفضل هذه الاجراءات العاجلة التى اتخذها القائد، اصبح المصابون بحالة افضل وتماثلوا للشفاء.

اصدر كيم جونغ ايل امرا بتحليق طائرة الهليكوبتر مرة اخرى، قائلا انه بغية تماثلهم للشفاء التام، يجب نقلهم الى المستشفى الكبير المزود بالاجهزة الطبية الحديثة، والتركيز على علاجهم.

نجاة التوائم الثلاثة

في اوائل تموز من عام ١٩٩٤، ولد ثلاثة توائم في احدى القرى الجبلية القريبة من خط الفصل العسكرى الذى يفصل كوريا الى الشمال والجنوب. كانت السيدة النفساء زوجة ضابط عسكرى.

سرعان ما توجه الاطباء اليهم في ذلك اليوم، واتخذوا الاجراءات اللازمة. ولكن حالة التواءم الصحية غير مطمئنة. وكانت اعراض الاخير خفيف الوزن من بينهم، الاكثر سوءا.

شعر اهالى القرية بالقلق ازاء حياة الاطفال فى قريتهم الجبلية النائية، وهم رضع حديثو الولادة مثل كتلة دم، رغم نجاح ولادتهم. ومع مرور الايام واحدا تلو آخر، دون تحرك لدعم حياة التوائم، بسبب وحولة الطرق بالامطار الغزيرة، لم يخف الاطباء ايضا مشاعر الارتباك والحيرة بشأن حياة التوائم الثلاثة.

لكنهم لم يفقدوا الامل. اذ رأوا ضرورة ان تنقل النفساء والتوائم الثلاثة

الى بيونغ يانغ على متن طائرة فورا، اذا كانت السماء صافية. ذلك لانهم موقنون تماما بأن القائد كيم جونغ ايل حريص على ادخال كل مواليد التوائم الثلاثة الى دار بيونغ يانغ للتوليد، للعلاج الطبى فيها، وفاء لطموحات الرئيس كيم ايل سونغ الذى تسره ولادة كثير من التوائم الثلاثة، قائلا بان ذلك فأل يبشر بازدهار البلاد.

كان الناس ينظرون الى السماء فقط، مركزين تفكيرهم على ساعة صحوها. ولكن السماء تلبدت بالغيوم السوداء اكثر فأكثر، وازداد البرق والرعد، حتى هطلت امطار غزيرة بدت وكأنها تنصب من افواه القرب. وفي تلك الظروف، انتشر النبأ المحزن كالصاعقة بان الرئيس كيم ايل سونغ قد فارق الحياة. فالاطباء الذين كانوا يترقبون بجوار الحاضنات، انتحبوا بحرقة، واصبحت النفساء مغميا عليها. لم يعد هناك احد يتحدث عن مصير التوائم الثلاثة، وكأن وجودهم تلاشى عن الدنيا.

في ذلك الوقت، اى في يوم ١٢ من تموز تحديدا، طارت الاوامر الاستثنائية بالهاتف والتلغراف نحو الكوادر في القطاع المعنى. ويا له من أمر ادهش الناس! لقد كان الأمر:

- مطلوب من وحدة سلاح الجو للجيش الشعبى الكورى تنظيم طيران مستعجل نحو قرية تشانغدو بقضاء كيمهوا، بغية نقل النفساء والتوائم الثلاثة، الذين في حالة الخطر.

- مطلوب من دار بيونغ يانغ للتوليد، ارسال فريق طبى كفوء، برئاسة نائب مديرها للشؤون الفنية، الى المكان عينه.

- مطلوب من مطار بيونغ يانغ، اتخاذ تدابير الامان المتكاملة لهبوط الطائرة، بغض النظر عن الطقس. ...

ما من احد يعرف كيف صدرت هذه الاوامر، في وقت كان فيه ابناء الشعب في البلاد كلها غارقين بالبكاء، والدموع تسيل ممزوجة بالدم على اراضى البلاد.

في الواقع، انها كانت اوامر اصدرها القائد كيم جونغ ايل، الذى ظل قلقا على مصير التوائم الثلاثة، رغم ان فقدان الرئيس كيم ايل سونغ آلمه اكثر من سواه. حسب اوامر القائد بنقلهم على متن الطائرة الى دار بيونغ يانغ للتوليد مهما كلف الامر، وانقاذهم مهما كلف الثمن، طارت الطائرة في الحال في سماء ممطرة. حف بالطائرة افراد عائلة النفساء واهالى القرية، رجالا ونساء، شيوخا وصغارا، ورجال الجيش، وعلى وجناتهم تنهمر دموع التأثر الشديد.

طارت الطائرة بالتوائم الثلاثة في السماء. وبعد مرور ١٥٥ يوما من ذلك، غادروا دار بيونغ يانغ للتوليد، وهم جميعا في صحة جيدة.

ملابس الجنود المبطنة بالقطن

في اواخر شباط عام ١٩٩٦، تفقد القائد كيم جونغ ايل المرتفع ٣٥١ الواقع في خط الجبهة الامامى، حيث حرص على الاطمئنان على الجنود، ومنهم تفحص ملابس جنديين كانت مبطنة بالقطن.

عندما سألهما القائد ما اذا كانت الملابس سميكة بشكل ملائم، أم لا، اجابه احدهما انها لا بأس بها، لان لديهم معاطف الفرو المعدة للحراسة.

لكن القائد هز برأسه، وشعر بقلق وهو يضغط بطانة القطن القليلة فى احذيتهم ايضا. كما قال للكوادر وهو يمعن النظر مرة اخرى في غرز خياطة ملابسهم، ان الريح الباردة قد تتسرب من خلال ثقوب الابرة، وان الملابس غير المضربة تبدو افضل من الملابس المضربة، وعلينا العمل لوقايتهم من البرد ولو باستهلاك مزيد من الاقمشة.

كان القادة قلقين من ان يقف القائد كيم جونغ ايل وقتا طويلا جدا على المرتفع، حيث تعصف البرودة القاسية، فطلبوا منه النزول من المرتفع.

قال القائد:

"فيما انا أرى الجنود يرتعشون بردا، لا يمكننى نقل خطواتى. لا اريد النزول من هنا."

ومضى يقول والقلق باد على وجهه:

"لا تشعرون انتم بالبرد لأنكم تلبسون المعاطف الجيدة، ولكن الجنود ليسوا كذلك. ان الجنود لا يتواجدون من اجل الضباط، بل يتواجد الضباط من اجل الجنود. لا بد للقادة ان يكونوا قادة لصالح الجنود."

ضوء المحبة

ذات مرة، كانت السيارة التى يستقلها القائد كيم جونغ ايل لتفقد الجبهة، قد دخلت نفق موزيغاى، الواقع على الطريق بين بيونغ يانغ وواونسان.

توقف موكب السيارات فجأة، عند وصوله الى منتصف النفق تقريبا. اذ ان القائد كيم جونغ ايل اوصى بايقاف السيارة، بعد ان رأى رجال الجيش المعبئين في مشروع صيانة النفق جالسين هنا وهناك، ثلة وثلة، بفصيلة وحضيرة، لتناول الطعام، معتقدا ان مرور الموكب هكذا قد يزعجهم في اكل طعامهم. وعلى اثر ذلك، توقفت محركات السيارات، واطفئت مصابيحها ايضا. ربما كانت الاضواء من مصابيح السيارات افضل من اضواء اللمبات المعلقة فى اعالى سقف النفق، الامر الذى دفع الجنود للمطالبة باضاءة مصابيح السيارات.

شعر المرافقون بارتباك، فحاولوا النزول من سياراتهم. منعهم كيم جونغ ايل برفق من النزول، ونبههم الى مواصلة اضاءة مصابيح السيارات، مشيرا الى ان الجنود سيدهشون جدا، اذا عرفوا هوية سياراتنا.

سرعان ما امتدت الاضواء من السيارات، حتى اصبحت اركان النفق المعتمة منيرة في لحظة.

ضج الجنود ضاحكين فرحين.

مضى وقت طويل، واقترح المرافقون عليه ان يغادر. اوصاهم كيم جونغ ايل بمواصلة الاضاءة، قائلا: يجب ان نضيئ لهم حتى ينتهوا من تناول الطعام. اذا غادرت السيارات الآن، فكيف يمكنهم تناول الطعام في هذا النفق المظلم، وحرص على مواصلة الاضاءة.

حين عرف رجال الجيش، في وقت لاحق، ان الذى حرص على الاضاءة لهم حتى يكملوا تناول طعامهم، ما هو الا القائد كيم جونغ ايل، فلم يتمكنوا من كبح انفعالهم وتأثرهم بذلك.

ابنائى وبناتى

في احد الايام من آذار عام ١٩٩٦، آثر القائد كيم جونغ ايل زيارة مخفر دايدوكسان ايضا، في منتصف الطريق للتفقد الميدانى للجبهة الامامية. كان هذا المخفر مكانا خطيرا قد يحدث فيه اطلاق نار فورى عنيف بين الخصمين، لمجرد ظهور اية حركة فيه، نظرا لمواجهتهما بالسلاح بصورة مباشرة. لكن كيم جونغ ايل صعد حتى الى منصة المراقبة التى تطل على المخفر المعادى على مرمى البصر، حيث احاط الجنود بالعناية الدافئة، وهو يلتقط معهم صورة تذكارية ايضا. فكان المرافقون قلقين دائما، تملأ افئدتهم مشاعر اقصى التوتر.

في مساء ذلك اليوم، طالبه الكوادر بالحاح وقالوا:

"نرجوكم ألا تتوغلوا في منطقة الجبهة مرة اخرى. هذا ليس رجاءنا نحن فقط."

بعد ان نظر القائد اليهم بنظرة تنم عن التفكير العميق للحظات، قال لهم بهدوء انه يفهم تماما ما يدور في بالهم، وانه ممتن لذلك.

ومضى في القول وهو يتطلع الى سماء الجنوب البعيد وكأنه يتصور في نفسه وجوه الجنود في مخفر خط الجبهة الامامى:

"حاليا، يدافع كثير من ابنائى وبناتى عن خطوط الدفاع عن الوطن في مخافر خط الجبهة الامامى. يلزمنى ان اطلع على الحياة العسكرية لابنائى وبناتى الذين يؤدون مهمة الحراسة في الجبهة، واشجعهم والهمهم قوة. فلا بد لى، من اجل ذلك، ان اذهب الى منطقة الجبهة."

ابنائى وبناتى!

من يستطيع ان يسد الطريق الذى يسلكه الاب لزيارة ابنائه وبناته، يا ترى؟

عالم الطبقة العاملة

في اواخر حزيران عام ١٩٨١، زار القائد كيم جونغ ايل مستشفى الوقاية لطب الفم والاسنان في محافظة هامكيونغ الجنوبية، الذى تم بناؤه حديثا، اثناء توجيه شؤون مدينة هامهونغ على الطبيعة.

حين دخل احدى غرف العلاج، وجد احدث جهاز علاج متكامل نادر.

قال القائد انه ليس ثمة مستشفى طب فم واسنان ضخم كهذا حتى في بيونغ يانغ. وكان مسرورا جدا ببناء مثل هذا المستشفى الحديث في مدينة هامهونغ التى يعمل ويعيش فيها كثير من افراد الطبقة العاملة، مشيرا الى ان ذلك امر جدير بالثناء الكبير.

في هذا الوقت، قال له احد الكوادر المرافقين في المحافظة ان هذا الجهاز يقتصر استعماله على رؤساء الدول والملوك في البلدان الاخرى. لذا، لم يجد الخبراء المعنيون الاجانب نهاية لشكوكهم عند تصديره، متسائلين كيف يمكن

لكوريا استيراد مثل هذا الجهاز لتضعه فى مستشفى بمدينة محلية.

ضحك القائد مقهقها وقال:

"هو للملوك فقط؟ ... يا له من امر جدي، اذن! ليس في بلادنا ملك..."

انفجرت الضحكات في اركان الغرفة.

تابع كيم جونغ ايل يقول وهو ما يزال يضحك:

"مع ذلك، ليس هناك ما يدعونا للقلق. فما دام ابناء الشعب هم سادة بلادنا، فمن يستعمله غيرهم. يجدر بالعمال ان يعالجوا به."

توقف الكوادر عن الضحكات. اذ ان لكلامه هذا مغزى عميقا.

في وقت لاحق، فتح مستشفى الوقاية لطب الفم والاسنان في محافظة هامكيونغ الجنوبية ابوابه على مصراعيها، واستقبل العمال العاديين وعموم الشعب، للعلاج على ذلك الجهاز الخاص بالملوك.

عذرا للعمال

في يوم ٢٤ من كانون الاول عام ٢٠٠٨، زار القائد كيم جونغ ايل مؤسسة تشوليما المتحدة للفولاذ، غير آبه ببرودة الشتاء، وعرج على مطعم عمال الصهر ايضا.

ازداد فرحه وسروره، حين عرف ان المياه المعدنية متوفرة في غرفة الطعام، ورأى قائمة الطعام عالى الجودة والمعد لعمال الصهر.

ولكن ملامح وجهه تغيرت فجأة، دون ان يعرف احد سبب ذلك.

قال القائد للكوادر، مشيرا الى ان غرفة الطعام في مطعم عمال الصهر باردة لانخفاض درجة حرارتها:

"مهما تناول العمال طعاما مغذيا جدا، فلا فائدة منه، اذا تناولوه فى غرفة باردة. انه لخطأ جسيم أن تتأخروا عن اتخاذ الاجراءات اللازمة،

وانتم تعرفون أن العمال يتناولون الطعام فى الغرفة الباردة."

كلامه هذا جعل الكوادر يؤنبون أنفسهم كثيرا. اذ انهم لم يفكروا في درجة الحرارة في غرفة الطعام، مكتفين بامداد العمال بالمواد المغذية، في هذه الفترة العسيرة لنقص معظم الاشياء.

قال كيم جونغ ايل بنبرة حازمة.

يتوجب على مدير المؤسسة، والامين المسؤول للحزب فيها، ان يعتذرا للعمال حالما يجتمعان معهم، ويعملا على ضمان درجة الحرارة في غرفة الطعام في حالة طبيعية، قبل ان يحل رأس السنة الشمسية.

في وقت لاحق، اعتذر الكوادر للعمال، وتهيأت لعمال الصهر غرفة رائعة للطعام.

تلاشى صفارة القطار

كان ذلك في احد الايام من تموز عام ١٩٧٦.

بعد ان استقبل القائد كيم جونغ ايل طلوع الشمس المهيب على جبل بايكدو، طلب من الكوادر التوجه فورا الى ينبوع نايغوك للمياه الساخنة.

وقع الكوادر في حيرة، لانه اذا ذهب الى نايغوك مباشرة بعد النزول من جبل بايكدو، فقد يفوته موعد تناول الفطور مرة اخرى.

حين اقترح احد الكوادر عليه المغادرة بعد تناول الفطور، مرورا بسامزيون، قال له القائد ان التخلف عن وجبة او وجبتين لا يهمه، في هذا اليوم الذى صعد فيه جبل بايكدو. وتابع يقول:

سر امامنا وانت سريع الخطى. هيا بنا لنتفقد ينبوع نايغوك للمياه الساخنة. ما أروع ان نؤدى المزيد من الاعمال المفيدة للشعب، ولو واحدا منها، قبل عودتنا الى بيونغ يانغ! فلننزل بسرعة دون اى قلق علي.

واشار الى ان المعطيات التحليلية حول هذا الينبوع تقول انه يحتوى على العناصر النافعة لعلاج شتى انواع الامراض. فكم سيكون حسنا، لو بنينا هناك مصحة، حيث يقضى ابناء شعبنا ايام النقاهة، ويستريح ويستحم اولئك الذين جاءوا الى جبل بايكدو قبل عودتهم لديارهم!

على هذا النحو، توجه الكوادر معه الى ينبوع نايغوك للمياه الساخنة، دون ان يتناول الفطور.

نقع كيم جونغ ايل يده في مياه الينبوع المتدفقة ليخمن درجة حرارتها، وتعرف على كميات المياه، وعلم وهو يجول بناظريه حوله، الطرق المفصلة لبناء المصحة والمرافق الثقافية والترفيهية الحديثة في هذه المنطقة.

في هذا الوقت بالذات، كان قطار يحمل في عرباته جذوع الاشجار، يجرى على الخطوط الحديدية التى تتوسط قرية الينبوع، مطلقا صفارته إلى عنان السماء. فتحول هدوء القرية الجبلية الى ضجيج مدو، بسبب هدير عجلات القطار المسرعة.

ظل كيم جونغ ايل ينظر الى القطار، الى ان توارى عن ناظريه وراء منعطف الجبل، ثم قال للكوادر ان الهدوء ضروري جدا بهذا المكان، من اجل بقاء الناقهين فيه للعلاج. فالافضل ألا تمر به الخطوط الحديدية. يجب نقلها الى جهة اخرى.

نقل الخطوط الحديدية الى جهة اخرى؟...

لم يتمالك الكوادر أنفسهم من شدة الذهول.

ان نقل الخطوط الحديدية في هذا الوادى المحاط بالجبال من كل الجوانب، يتطلب حتما شق نفق في الجبل، بطول ٤٠٠-٥٠٠ متر على اقل تقدير.

اوصى كيم جونغ ايل بنقل الخطوط الحديدية الى جهة اخرى، دون قيد او شرط، مهما كان المشروع صعبا ومعقدا، وذلك من اجل ابناء الشعب

الذين سيقضون هنا وقتا للراحة والعلاج الطبى.

بعد عودته، انتقلت تلك الخطوط الحديدية الى جهة بعيدة اخرى. هكذا، تلاشى ضجيج صفارة القطار، ولم يبق فى المكان سوى ضحكات ابناء الشعب.

الوجه الجميل للأم

ذات يوم من كانون الاول عام ٢٠٠٤، وقفت امام القائد كيم جونغ ايل امرأة ورجلان، مطأطئين رؤوسهم. لطالما كانوا يتلهفون للقائه حتى ولو في المنام، ولكنهم يحنون رؤوسهم الآن وينظرون الى الارضية فقط، معتقدين ان الحزن سيحز فؤاد القائد، اذا رأى وجوههم المشوهة بآثار حريق واضحة. انهم الثلاثة الذين عانوا من حروق بكافة انحاء الجسم، اثناء انقاذ الاشجار التى كتب عليها المناضلون الثوريون المناهضون لليابان، الشعارات في الماضى، حين شب حريق فى الجبل فجأة.

سأل القائد، وهو يمعن النظر في وجه المرأة المطأطئة الرأس.

"اى علاج طبى تلقيت؟"

لم ترد عليه والغصة في حلقها، لانها لا تريد ان تشغل باله بشأنها.

ابلغه الكادر الواقف بجوارها، انها قد خضعت لعمليات جراحية للوجه اربع عشرة مرة حتى الآن في مستشفى هامهونغ لجراحة التجميل، والمستشفى التابع لجامعة بيونغ يانغ للطب، حتى اصبحت احسن حالا من ذى قبل.

لكن كيم جونغ ايل نظر لحظات الى وجوه الاشخاص الثلاثة بنظرة متألمة، وقال:

مازالت آثار الحريق باقية حتى الآن بقدر لا يستهان به في وجوههم وايديهم. فينبغى العمل على اعادتهم لحالاتهم الاصلية، حتى ولو بارسالهم الى البلدان الاخرى.

بكلامه هذا، انفجرت المرأة باكية بدموع سخينة، وقالت في سرها.

(ايهـا القائـد، لا تـشغل بالـك كثيـرا. فقـد اصـبحت الآن فـي حالـة طبيعية.)

كـان ذلـك صـحيحا. ففـي البداية، كانـت تخجـل مـن رؤيـة الآخـرين، ولكنها اطمئنت تدريجيا، عندما اخذ جميع الناس ينظرون اليها باحترام، وجـاء اليها احـد الضباط ليطلب الاقتـران بهـا، قـائلا ان جمـال الانـسان يكمن فـي قرارة نفسه، لا في مظهره. في يوم الزفاف، طلب منها الكادر المسؤول فـي القرية ان تـرفع رأسـها وان تفتخر، وهى جالسة امام مائدة الحفلـة، لانهـا امرأة جليلة تتحلى بالايمان الثابت غير القابل للحرق حتى في النار. آنذاك، آمنت ان لا تهتم بآثار الحريق في وجهها اكثر من ذلك. لقد فكرت ذات مرة انها لو ولـدت طفلة لطيفة، ماذا ستفعل اذا انعكست صـورة الأم المشوهة علـى بـؤرة عينيها الصافية. لكنها كانت تعلل نفسها بـان الطفلـة ستفهم امهـا وتعتـز بهـا عندما تكبـر. ومـع ذلك، حرص القائد كيم جونـغ ايل على اعادة حالة الوجه الاصلى حتما، حتى ولو بارسالها الـى الـبلدان الاخـرى، الأمـر الـذي جعلهـا لا تـتمالك مـشاعر الاعجـاب والتأثر المتدفقة.

قـال القائـد مـؤكدا، ونظـرته مثبـتة فـي وجـوههم، هـم الـذين يجهشون بالبكاء متأثرين، انـه يجب القيام بالعملية الجراحية لوجوههم بما لا تشوبه شائبة. ربمـا لـديهم ايضا ابنـاء وبنـات، لـذا، يجب الحـرص علـى ان يـروا وجوههم بحالتها الاصلية.

بعد عـام، عـادت تلك المرأة الـى الـوطن بـوجهها الاجمل من الاصـل، وعانقـت ابنـتها ذات الـربيعين مـن عمـرها، التـى جـاءت لاستقبال امهـا، ووشوشت اليها بصوت متحشرج.

"يـا بنيتـى، انظـرى كمـا تـشائين الـى وجـه امـك الجمـيل الـذى أعـاده القائد!...)

"بومهيانغكى" (عبق الربيع) في عيد الثامن من آذار

حدث ذلك في عيد الثامن من آذار عام ٢٠٠٨.

في هذا اليوم، كان مسرح بيونغ يانغ الشرقية الكبير عامرا في الفرح والابتهاج. اذ ان القائد كيم جونغ ايل حرص على اعداد العرض الفنى للاحتفال بعيد المرأة العالمى فى الثامن من آذار، وشاهده مع نائبات مجلس الشعب الاعلى، والكادرات المسؤولات لاتحاد النساء، والكاتبات، والصحفيات، والمذيعات، والمبدعات، والفنانات في مدينة بيونغ يانغ.

بعد انتهاء العرض، صعد احد الكوادر على خشبة المسرح مسرعا، وقال بصوت متأثر ان القائد كيم جونغ ايل ارسل الهدايا الى مقدمى العرض والمتفرجين جميعا، وستجرى مراسم منح الهدايا على الفور.

لم يصدق الحضور، الذين غرقوا في اكبر مشاعر الفخر والسعادة لمشاهدتهم العرض مع القائد كيم جونغ ايل، هذا الاعلان، وشككوا حتى في آذانهم.

قد يكون الامر مقبولا للممثلين الذين بذلوا الجهد لضمان نجاح العرض، ولكن الآخرين ليسوا سوى متفرجين على العرض. ومع ذلك، يقدم لهم ايضا الهدايا؟!...

قدمت اطقم من مستحضرات التجميل عالية الجودة بماركة "بومهيانغكى"، ومختلف انواع المواد الغذائية، الى الف وعدة مئات من مقدمى العرض والنساء المتفرجات، وحتى الى الرجال ايضا.

جاشت صالة المسرح بأمواج الفرح. لكن الناس لم يعرفوا قصة هذه الهدايا.

ففي عمق الليل قبل عدة ايام، اطلع القائد كيم جونغ ايل على امكانية

زيـادة إنـتـاج مستحـضرات التجمـيل "بومـهيانغكـى"، فـي مـصنع سـينويزو لمستحضرات التجميل، ثم قال:

"سيكون رائعا لـو تمكـن مـصنع سينويزو لمستحضرات التجميل من ان ينـتـج ١٥٠٠ طـاقم من مستحـضرات التجـميل (بومـهيانغكى) حتى يوم الغد. انوى استعمالها في عيد المرأة العالمى فى الثامن من آذار."

اتـصل القائـد هاتفـيا مـرة تلـو الاخـرى، مـشيرا الـى ضـرورة نقـل مستحـضرات التجـميل بالقطـار، لانـهـا قد تتكسر في منتصف الطريق، عند نقلها بالشاحنات او الحافلات.

وعلـى ذلك، انطلـق "القطـار الخـاص"، محمـلا بمستحـضرات التجـميل نحو بيونغ يانغ.

فـي عـيد المـرأة العالمـى فـى الـثامن مـن آذار، اسـتدعى القائـد احـد الكوادر، قبل بدء العرض، وقال له ما يلى:

اخطـط لـتقديم الهـدايا مـن مستحـضرات التجـميل الـى الـرجال ايضا. عندئذ، كم سيكون سرور زوجاتهم كبيرا!

اطلاق اسم على طفل قريب الولادة

حـدث ذلـك فـي يـوم ٢١ مـن آذار عـام ٢٠٠٠، حـين زار القائـد كيم جونـغ ايل احدى اسر الجنود المسرحين في دايهونغدان الواقعة في المرتفعات الجبلية في شمال البلاد.

"ايها القائد الاب، انكم اول من زار بيتنا الذى لم يزره حتى والداى بعد. نشكركم جزيل الشكر. ..."

قال القائد مبتسما للزوجين من الجنود المسرحين، اللذين يقدمان له تحية الشكر متأثرين، انـه من دواعى سروره والتزامه ان يزور بيوت المتزوجين

حديثا من جنودنا المسرحين اولا وقبل الآخرين، وسألهما متى تزوجا.

ولما تردد الزوج الشاب خجلا من هذا السؤال، تقدم الكادر المسؤول للقضاء وقال ان زوجته قد تطوعت للقدوم من بيونغ يانغ الى دايهونغدان وهى مازالت فتاة. وانهما تزوجا في العام الماضى بمناسبة عيد تأسيس الجيش (٢٥ نيسان)، والزوجة حبلى الآن.

فقال كيم جونغ ايل انه لخبر سار حقا، وسألها بلطف.

"في اى شهر ستلدين، اذن؟"

"شهر تموز."

"أيمكنك ان تنجبي ولدا؟"

"نعم، بالتأكيد ايها القائد."

السؤال اللطيف والاجابة النشيطة.. هل يمكن أن يتلاشى التكلف الى هذا الحد، حتى لو كان الحديث بين الاب وابنته الحقيقية؟

انفجر الجميع في الضحكات فيما يرون الزوجة حديثة الزواج وهى تؤكد انها ستلد الصبي حتما، رغم انها لا تعرف ما فى رحمها، ذكرا كان أم انثى.

ضحك القائد، هو الآخر، مقهقها.

واذا بتلك الزوجة تهمس في اذنه شيئا.

لم يفطن القائد لكلامها وسط ضجيج الضحكات، فعادت تقول له وهى تلف ذراعه بذراعها.

"ايها القائد الاب، ارجوكم ان تطلق الاسم على مولودى."

وعلى الفور، اختفت الابتسامة من على وجوه الكوادر، نظرا لهذا الطلب الساذج. لكن القائد لم ينزعج من طلبها اطلاقا، بل قال لها بفرح:

"أتريدين اطلاق الاسم قبل الأوان؟"

ومن ثم، سألها كيف يمكنه اطلاق الاسم على مولودها، دون ان يعرف انها سترزق بطفل ام طفلة، وتعهد لها باطلاق الاسم فيما بعد.

في تلك الليلة، قال القائد للكوادر، وهو يعود بذاكرته الى ما حدث عند

زيارته لاسرة الجندى المسرح، ان اختيار اسم المولود من حق الاب، ولكننا سنطلقه تعبيرا عن مباركتنا لمستقبلهما، لان ذلك طلب ملح لزوجة الجندى المسرح.

"أرى انه من الانسب اطلاق اسم دايهونغ عندما ترزق بطفل، وهونغدان عندما ترزق بطفلة."

كان لهاذين الاسمين مغزى عميق في الواقع. فاذا تم جمعهما، يأتى معنى "دايهونغدان"، اى اسم المنطقة التى تطوع الزوجان للعمل فيها، من اجل احداث تجديدات في زراعة البطاطا، وفاء لغايات القائد.

وفي وقت لاحق، ولدت "هونغدان" في هذه الاسرة.

ابقاء الفراغ

كان ذلك في احد الايام من ربيع عام ١٩٩٥.

ظل القائد كيم جونغ ايل يقلب صفحات الوثائق واحدة بعد الاخرى، وعلى وجهه ابتسامة سارة. لقد كانت البرنامج اليومى الذى وضعه شخصيا، للزيارة التى ستقوم بها جنديات المدفعية الساحلية من سرية كامنامو، الى بيونغ يانغ. بعد ان تفحصها مرة اثر مرة للتأكد على عدم النواقص فيها، سأل الكوادر عما اذا كان لا بد لهن من التقاط الصور التذكارية هذه المرة.

قال له احد الكوادر انه من الارجح ان سريتهن قد استعدت لالتقاط الصور.

قالها الكادر بشكل عابر، لكن كيم جونغ ايل كان عميق التفكير.

حتى لو توفرت عندهن آلة التصوير، فربما تتباين جودة الصور حسب المصور. واذا حدث ان تعرض فيلم كاميرتهن لتلف ما، فكم سيكون اسفهن شديدا!

وبعد دقائق، قال القائد انه من المستحسن تخصيص مصور ماهر ليرافقهن فى التصوير من اول الزيارة الى نهايتها حسب رغباتهن، واعداد البومات لهن.

وحين تستعد اولئك الجنديات للعودة بعد انتهاء زيارتهن الى بيونغ يانغ، تم تسليمهن الالبوم الجماعى للسرية، والالبوم الخاص لكل جندية.

اخذت الدهشة الجنديات، وهن يتفحصن اول صفحة من الالبوم بفرح غامر. ولكن، وجدن الصفحة الاولى فارغة.

(؟!...)

توجهت ابصارهن الى الكادر الذى حمل لهن الالبومات، وكأنهن تعهدن بتلك النظرة. فروى الكادر لهن حقيقة الامر، قائلا:

عندما رفعت الالبومات الى القائد، امعن النظر في كل صفحات الالبوم الجماعى للسرية والالبوم الخاص المغلف جيدا، واذا به يفكر في امر ما، والصفحة الاولى التى وردت فيها صورهن الفردية، ماتزال مفتوحة.

وقف الكوادر صامتين وهم يجهلون السبب، وسألهم القائد عن رأيهم في ابقاء الصفحة الاولى فارغة.

(فارغة ؟!...)

وفيما هم مستغربين الامر، قال لهم ان اولئك الجنديات سيتزوجن لاحقا بعد تسريحهن من الجيش، ويلتقطن آنذاك صورة تذكارية للزفاف، واذا وضعت تلك الصورة على الصفحة الاولى، التى ستبقى فارغة، فكم سيكون ذلك رائعا!

حين استمعت الجنديات الى هذه الحقيقة، اجهشن بالبكاء متأثرات.

"يا أبانا!"

الحب يتجاوز الجدار

في ليلة الحادي والثلاثين من آب عام ١٩٨٤ ايضا، كانت الامطار الغزيرة تهطل بعد فوات الأوان.

كان القائد كيم جونغ ايل، وهو على طريق توجيهاته الميدانية، ينظر وقتا طويلا الى سماء الجنوب البعيد، عبر النافذة في مقر اقامته الممطر.

وبعد قليل، قال للكوادر انه قلق على المواطنين في الشطر الجنوبى، نظرا لهطول الامطار باستمرار، واذا هطل المطر على هذا النحو، سيفيض جنوبي كوريا دون ريب، مما سيسبب المشقات والبؤس للناس.

وتابع قائلا:

"يبدو لى ان الحنين يشتد كلما يتعمق الليل. يؤلمنى ان تخطر ببالى الأفكار عن ابناء الشعب في جنوبى كوريا. ان البؤس الذى يعانيه المواطنون في الشطر الجنوبى من جراء انقسام الوطن، يوجعنى الى ابعد الحدود."

ثم، نظر الى وابل الامطار الهاطلة وكأنها تنصب من افواه القرب، بنظرة تنم عن القلق. وكما توقع فى قلقه، فان النكبة قد حلت فعلا في مختلف المناطق من جنوبى كوريا، بما فيها سيؤول، من جراء الفيضانات غير المسبوقة. ولقى اكثر من ٣٥٠ شخصا حتفهم دفعة واحدة، وبات اكثر من ٢٠٧ آلاف شخص منكوبين. اما الباقون احياء، فكانوا ينتظرون الاغاثة بالحاح وهم على الخراب الناجم عن الامطار الغزيرة.

حين تلقى القائد هذا التقرير، لم يكن باستطاعته تناول العشاء ذلك اليوم. فاستدعى احد الكوادر، واوصاه بأن يدرس بسرعة ما هى الاجراءات المناسبة، مشيرا الى ان الطعام يغص في حلقه، اذا فكر في امر المنكوبين. هكذا، صدر في بيونغ يانغ قرار خاص بارسال مواد الاغاثة الى منكوبى الفيضان في جنوبى كوريا.

قال كيم جونغ ايل بجدية انه ليس هناك شيء نبخل به، مهما كانت كمية مواد الاغاثة كبيرة، وان افراد الامة المتجانسة هم الافضل في كل الاحوال، ونحن الأولى بمساعدتهم، فينبغى ارسال المواد بعد انتقائها بكل حرص وعناية.

بفضل محبته الدافئة للمواطنين، انتقل ٥٠ الف سوك من الارز، و٥٠٠ الف متر من الاقمشة، و١٠٠ الف طن من الاسمنت، وكميات كبيرة من الادوية، الى ايدى ابناء الشعب في جنوبي كوريا، عبر جدار الانقسام، لاول مرة بعد انشطار كوريا.

"سايبيول"

ذات يوم من تشرين الثانى عام ١٩٩٠، تلقى القائد كيم جونغ ايل رسالة الشكر التى رفعها اليه زوجان كوبيان من خبراء اللغة، يعملان في كوريا، ويطلبان فيها منه اطلاق اسم على ابنهما الذى ولد في دار بيونغ يانغ للتوليد.

كان هناك سبب لطلبهما هذا.

لقد كانا محرجين مهمومين لانهما لم يرزقا بطفل، بسبب اجهاض الزوجة فى كل مرة، رغم مرور ثمانى سنوات على زواجهما. كانا يعملان آنذاك في مراجعة وتصحيح الكتب المترجمة الى لغتهم، وهما يقيمان في كوريا.

حملت الزوجة من جديد، فدخلت الى دار بيونغ يانغ للتوليد. لكن القلق الكبير داهمها، الى جانب الفرحة، حين علمت باحتمال اجهاض هذا الطفل ايضا كعادتها، اذا غادرت كوريا بسبب انتهاء مدة الاقامة، بعد مرور ثلاثة اشهر.

علت على وجهى الزوجين علائم القلق والهموم.

بعد ان عرف القائد بهذا الأمر، عني بمواصلة بقائهما في كوريا حتى بعد انتهاء مدة الاقامة، وتلقيهما المساعدة فى دار بيونغ يانغ للتوليد عند ولادة الطفل.

واخيرا، ولدت السيدة الكوبية طفلا بنجاح. فرفع الزوجان الكوبيان

المتأثران رسالة الشكر الى القائد، وطلبا فيها اطلاق اسم كورى على المولود، باعتباره تعويذة حامية للمولود.

فرح كيم جونغ ايل كثيرا بنبأ المولود الاول للزوجين الاجنبيين، وقال انه من الجميل تسميته "سايبيول" (نجم الصباح)، لانه نجم يمكن رؤيته من اى مكان. ثم، ارسل اليه هدايا متنوعة شملت اقمشة الملابس والملابس الجاهزة والمفروشات والحليب المعلب والسكر.

عندما تلقى الزوجان هذه الهدايا السخية، مع اسم ابنهما، بلغ بهما التأثر حدا جعلهما لا يعرفان ماذا يفعلان!

لم تقتصر مثل هذه القصص على "سايبيول" الكوبي وحده، بل شملت ايضا "زيندالاى" (اضاليا) الفلسطينية، و"سولكوانغ" الصينى.

استعادة "ربيع الفتاة"

حدث ذلك في احد الايام من تموز عام ٢٠٠٨.

بعد ان شاهد القائد كيم جونغ ايل العرض الفنى الذى قدمته فرقة الرقص الروسية "بيريوزوكا"، اثناء زيارتها لكوريا، أشاد عاليا بنجاحهم في العرض.

ذكر كيم جونغ ايل، خلال جلسة لقائه مع الافراد القياديين للفرقة والممثلين، حقيقة اداء كولزوبا، رئيسة الفرقة، لدور البطولة في الفيلم الروائى "ربيع الفتاة" الذى تم انتاجه في حقبة الاتحاد السوفييتى السابق، واوصاها بلطف بأن تشاهد هذا الفيلم اثناء اقامتها في بيونغ يانغ، لانه سيحرص على بثه على شاشة التلفزيون.

ذهلت كولزوبا. لقد اختفى هذا الفيلم مع انهيار الاشتراكية، بعد ان عرض على نطاق واسع في بعض الاوقات. ولم يكن هناك احد يتذكر انها

مثلت فيه كبطلة. وحتى هى نفسها، حملت هذه الحقيقة في ذاكرتها كمجرد امر بسيط حدث في الماضي. لم يخطر ببال كولزوبا من قبل، ان القائد كيم جونغ ايل يسترجع هذه الواقعة مع الفيلم الروائى "ربيع الفتاة".

عندما استمعت الى كلامه، ساورها الخيال وكأنها تعود الى عهد فتاة الربيع قبل عشرات السنين.

عرضت على شاشة التلفزيون في بيونغ يانغ صورتها الحقيقية في عمر الشباب، وقد شاهدت الفيلم مرتين، غارقة في الحلم.

عندما التقت كولزوبا القائد كيم جونغ ايل مرة أخرى، قالت له، وهى لا تستطيع كبح الدموع المنهمرة على خديها، انها تود لو يفكر فيها كفتاة في تلك الفترة الشبابية التى ادت فيها دور بطلة الفيلم الروائى "ربيع الفتاة"، رغم بلوغها السبعين من العمر بعد عدة سنوات، وانها ما تزال تحتفظ ببطاقة الحزب الشيوعى حتى الآن.

بعد ان عادت كولزوبا الى بلادها، عملت جاهدة لاحياء التقاليد الثقافية القومية الروسية وتفتح ازهارها، وظلت تزور كوريا كل عام تقريبا، برئاسة الفرقة.

٥) الواجب الاخلاقى

المعلم المحترم

"ان من لديه معلم جدير بأن يتذكره مدى الحياة، هو انسان محظوظ حقا."

هذه هى فقرة من الفقرات المشهورة التى كتبها الرئيس كيم ايل سونغ في مذكراته "في دوامة القرن". لقد كان الرئيس يتذكر في كل المناسبات التى سنحت له اثناء حياته، المعلم شانغ وى، معلم اللغة في مدرسة يووين الثانوية في جيلين، دون ان ينساه.

يوجد لدى القائد كيم جونغ ايل ايضا معلم لا ينساه، رغم مرور عشرات السنين.

حين اطلع القائد على شؤون جامعة كيم ايل سونغ، من خلال احد الكوادر، في اوائل كانون الثانى عام ١٩٩٥، تحدث عن احد الاساتذة فيها. وقال انه من الاساتذة الاكثر كفاءة في كلية الاقتصاد، وقد ظهر على شاشة التلفزيون ايضا قبل عدة ايام، وبدا له انه كبير السن الآن.

ظل القائد يسترسل في تفكير عميق متأثرا وكأنه يتصور من جديد وجه ذلك الاستاذ، الذى جلل الشيب رأسه، خلافا لما في تلك الفترة، حين كان يدرس في الجامعة، وقال انه يكن مشاعر احترام حقيقي لذلك الاستاذ.

قال القائد وهو يجول ببصره نحو الكادر الواقف متأثرا، انه هو ايضا انسان، وعلى الانسان ان يعرف كيف يحترم معلمه. واوصاه بأن يرسل

اليه ساعة من الذهب، تحمل الاسم الكريم للرئيس كيم ايل سونغ كهدية، بمناسبة حلول رأس السنة الجديدة، ويحسن به ان يذهب اليه لنقل الهدية وابلاغ تحيته ايضا.

بعد عدة ايام، جرى في جامعة كيم ايل سونغ حفل حاشد لتسليم الهدية التى أرسلها القائد لمعلمه القديم.

انفجر الاستاذ المخضرم في الانفعال والتأثر، وهو يطلق بالدموع هتافات التحية والحياة! وقال:

"منذ اقدم العصور، كانوا يسمون من يحرق حماسته كالشمعة من اجل الجيل الصاعد، معلما.

ان القائد كيم جونغ ايل هو الأب العطوف والمعلم العظيم الذى يرعى ابناء الشعب في البلاد كلها ويربيهم في احضانه. انا من رجال التعليم الذين يعيشون في ذاكرة المعلم العظيم، اسعد الناس في هذه الدنيا."

شاهد العيان على العمليات الجراحية

في يوم خريفي من احد الاعوام، حدث ان نقل احد المناضلين الثوريين المناهضين لليابان، الى المستشفى.

كانت حالته ميئوسا منها، لاصابته بمرض السرطان. لم تكن هناك اجراءات تصلح لعلاجه. الطريقة الوحيدة هى اجراء عمليات جراحية دون تأخير.

تم اقرار إجراء عملياته الجراحية، حسب تعليمات القائد كيم جونغ ايل، الذى أوصى بعمل اى شىء جرىء ممكن، إن كان هو الوحيد لانقاذ المريض.

لكن ظهر وضع غير متوقع. اذ ان كل المؤشرات الجسدية التى يجب

توفرها للعمليات، كانت خارجة عن الخطوط الطبيعية. في ظل هذه الحالة، كانت العمليات خطيرة. وقع الاطباء في حيرة وارتباك، ضاربين اخماسا باسداس.

في هذا الوقت بالذات، دخل القائد كيم جونغ ايل غرفة العمليات الجراحية، وهو يقول بصوت جهورى: **"ربما لا بد لى ان اكون شاهد عيان على العمليات الجراحية، نيابة عن افراد عائلته واللجنة المركزية للحزب"**. دنا القائد بهدوء من المناضل القديم، وقال له بدفء.

لا بأس. كن مطمئن البال. سأكون شاهدا على عمليتك الجراحية.

امسك القائد يدى المناضل واستأنف يقول.

ان كنت متوترا، فامسك يدى باحكام. سأجلس هنا الى ان تنتهى العمليات.

أمسك المريض باحكام يدى القائد، ولم يطلقهما، مثل الطفل المأزوم المحتاج لأمه، ثم اغمض عينيه براحة بال.

مضى الوقت ثانية فثانية.

وفجأة، وقع امر عجيب. اذ راحت كل المؤشرات المضطربة تعود الى الخطوط الطبيعية. ان حضور القائد للعمليات الجراحية، قد هدأ الاضطراب النفسى للمريض.

سرعان ما بدأت العمليات الجراحية التى استمرت اكثر من خمس ساعات، خلافا للساعتين المتوقعتين. في ذلك الوقت، لم يغادر القائد مكانه ولو مرة، وظل ممسكا بيدى المريض، متصببا بالعرق بما لا يقل عن الاطباء.

وهكذا، نجا المريض من شفا الموت. ولكن القصة لم تنته بعد.

وبعد فترة قصيرة، غادر ذلك المناضل الى بلد آخر لاجراء عمليات جراحية ثانية. كانت نتائجها ايضا مقبولة. بعد ان قضى المناضل على عقابيل مرضه في اثناء العلاج الطبى لمدة خمسة اشهر، عاد الى الوطن على متن طائرة خاصة ارسلها القائد.

وعندما عرج على بيته لتغيير الملابس، قبل تقديم التقرير الى القائد، استقبله القائد امام مدخل بيته فجأة. وبعد ان سأله القائد عن حالته، وما اذا كانت كل اموره على خير ما يرام، قال انه اعتزم الذهاب الى المطار، ولكنه فضل التوجه الى بيته لانتظاره في البيت الفارغ، لانه تواردالى ذهنه عدم وجود من يستقبله في بيته وهو يعود اليه بعد غياب طويل، واضاف:

"... كنت شاهد عيان على العمليات الجراحية الأولى في الوطن، ولكن لم اكن كذلك عند القيام بالعمليات الثانية في الخارج. ومقابل ذلك، تلقيت في الوطن تقريرا عن سير العمليات في ذلك الوقت. ... اذا لم تخنى ذاكرتى، ربما كانت درجة حرارة جسمك في ذلك الحين منخفضة عند ٣٧,٦ درجة."

وهذا يعنى ان القائد كيم جونغ ايل كان شاهد عيان على العمليات الثانية ايضا. إخضلت عينا المناضل الكتوم بالدموع.

وسط وابل من الامطار

في احدى الليالى من شهر أيار عام ١٩٨١، تلقى القائد كيم جونغ ايل نبأ محزنا في مقر اقامته في احدى المناطق المحلية بما يلى:

"فارق الرفيق سيم تشانغ وان الحياة اثر نوبة قلبية."

ذهل القائد من النبأ. اذ ان الفقيد كان "كشافا" يجرى في مقدمة الصفوف من اجل تحقيق خطة القائد لتمتع ابناء الشعب بكل المناظر الخلابة على جبل ميوهيانغ المشهور، وظل يشق الطريق مع القائد لتحديد مسارات صعود الجبل.

لقد سقط على الدرب الاخير لصعود الجبل. رفع القائد رأس سيم تشانغ وان، ووضعه على ركبتيه وخاطبه قائلا:

"يا رفيق تشانغ وان، ماذا افعل وانت هنا على هذا النحو؟! افتح عينيك حالا!"

وسرعان ما نقل سيم تشانغ وان الى بيونغ يانغ.

وبعد ارساله، ظل القائد قلقا غير مرتاح. وتبادر الى تفكيره الكلام الذى اعتاد الفقيد على تأكيده بأنه لن يترك صحبة القائد، حتى مماته. طالما انتظر بفارغ الصبر وصول النبأ المرجو من بيونغ يانغ، دون ان يتناول أى طعام، ولكنه رحل عن الدنيا؟!...

في خارج النافذة، ظل المطر يهطل. والاشجار الباسقة تتقاذف قطرات المطر مع اتجاهات هبوب الرياح.

فك كيم جونغ ايل ياقة سترته، وفتح النافذة على مصراعيها. تطايرت قطرات المطر على جسده من كل جانب. لكنه ظل واقفا في مكانه، غير آبه بها. وهكذا، لم يعرف جفناه سبيلا الى النوم طوال الليلة.

حين دخل احد الكوادر غرفته في أول الفجر، قال له كيم جونغ ايل انه من الواجب التوجه اليوم الى بيونغ يانغ، بعد الغاء كل برامج العمل. وعليه ان يحضر مراسم جنازة الرفيق سيم تشانغ وان مهما كلف الامر، فربما يساهم ذلك فى تخفيف احزانه.

وقع الكادر فى حرج شديد. اذ ان مياه الامطار الغزيرة التى ملأت فجأة كل الاودية طوال الليلة الماضية، قد تدفقت الى النهر لتفيضه، وحتى الجسر المؤدى الى بيونغ يانغ غرق بالمياه.

قال الكادر:

"ايها القائد، سيتوجب علينا الانتظار والمغادرة صباح الغد."

"كلا. لا بد ان نغادر الآن حتما. ألا يرقد الرفيق سيم تشانغ وان رقدته الاخيرة؟ يجب ايجاد طريق آخر."

"يوجد طريق آخر، ولكن الوصول اليه يتطلب عبور الجسر الحديدى."

"صحيح؟ اذن، فلنعبره. مادام الرفيق الثورى الذى كان يخلص للحزب اخلاصا لا حدود له، راقدا، فلماذا لا نستطيع عبور الجسر الحديدى، نحن الاحياء؟ هيا بنا."

اخيرا، غادر القائد مع مرافقيه. وعندما قطعوا اربعة كيلومترات من الطرق تقريبا، ظهر امامهم جسر حديدى ضيق.

نظر الكوادر الى مياه النهر من على الجسر، واذا بهم يتراجعون الى الوراء مرتعشين دون وعى منهم. تحت الجسر، كانت مياه الفيضان الوحلة تتدفق بشكل يفوق الوصف.

قال الكوادر بالحاح وهم يمانعونه.

"لا يمكن. دعونا نرجع."

ولكن القائد طمأنهم قائلا ان بامكانهم الآن عبور الجسر ورائه، برباطة جأش ودون عجلة، ثم راح يمشى عليه قبل الآخرين.

نقل المرافقون خطواتهم على احر من الجمر، وهم يراقبون كل الفلنكات الخشبية التى يطأها القائد.

حين عبر القائد النهر، بعد مرور تلك الدقائق المليئة بالتوجس والقلق، ووصل الى الجهة المقابلة، مضى فى السير مسرعا. لكن الطرق كانت غارقة بالمياه ايضا، حتى قبل ان يمشى بعيدا، واستعصى عليه السير اكثر من ذلك. لم تكن تتراءى فوق المياه الا سدود السكك الحديدية.

صعد القائد بلا تردد على سدود الخطوط الحديدية المؤدية الى بيونغ يانغ.

انهمرت دموع من الاسى على خديه، وهو يمشى دون تمييز بين الخطوط الحديدية او الدروب او حقول الذرة، وسط وابل من الامطار، وتدور في خلده فكرة كيف يمكن للمرء ان يموت بهذه البساطة، وعدم امكانية توقع مصير الانسان.

وحين مشى عشرات الكيلومترات، ظهر ضوء مصباح سيارة من بعيد. كان الوقت يقترب من العاشرة ليلا.

وما ان وصل القائد الى بيونغ يانغ، حتى توجه الى جثمان الفقيد الذى كان يرقد كالنائم.

ظل القائد ينظر الى وجهه مرة بعد أخرى، وعيناه مغرورقتان بالدموع.

لا تنسوا الشهداء

في احد الايام من ايلول عام ١٩٩٨، زار القائد كيم جونغ ايل مقبرة الشهداء الوطنيين، الواقعة في ضاحية بيونغ يانغ، بعد تفقده لمواقع بعيدة فى الجبهة.

بعد ان تفقد القائد الصور الحجرية واحدة فواحدة، اعرب عن ارتياحه قائلا: **"أرى هنا كل الاشخاص الذين لن انساهم! يبدو لى ان جميعهم احياء. لقد احسن صنع الصور الحجرية".**

وتجول حول كل قبر من القبور في الضريح المبنى بشكل مدرجات، مشيرا الى انه يجب رؤية كافة وجوه الشهداء، مهما تطلب ذلك من وقت.

لم يبعد القائد نظره عن وجوه الكوادر الراحلين متطلعا إليهم مدة طويلة، وكأنه يتحدث في سره مع كل منهم، وهو يتذكر امام الصورة الحجرية لاحد الشهداء بانه قد ساهم مساهمة كبيرة في تعزيز وتطوير قواتنا المسلحة الثورية، وأشاد بالآخر قائلا انه اجترح مأثرة كبيرة في اعمال بناء البلاد، مثل بناء العاصمة.

لم يتمالك المرافقون انفسهم من التأثر، وهم يتطلعون الى القائد الذى يتحدث بصوت مبحوح بأنهم كانوا رفاقا يخلصون اخلاصا لا حدود له للحزب والثورة، وان فؤاده يتألم عندما يفكر فيهم، هم الذين رحلوا عنا في مقتبل اعمارهم.

وبينما هو يتجول بين الصور الحجرية الكثيرة، راح الليل يرخى سدوله على المقبرة. لكن القائد ظل مواظبا على تفقده. وبعد ان تجول بين كل القبور على ضوء مصباح السيارة، توقف عن مشيه اثناء النزول من المقبرة، وقال بنبرة أسف:

"فيما انا اتفقد اليوم مقبرة الشهداء الوطنيين، لاحظت ان بعض الاشخاص قد غابوا عنها. يجب ان يرقد كل الشهداء الذين عاشوا حياتهم القيمة من اجل الحزب والزعيم، في مقبرة الشهداء الوطنيين."

ومن ثم، اشار لاسماء بعض الاشخاص، واصفا اياهم بالكوادر الذين اخلصوا اخلاصا لا حدود له للثورة، وقال انه يجب دفنهم جميعا هنا وصنع الصور الحجرية لهم، وان حزبنا وشعبنا لن ينسيا ابدا مآثرهم المسجلة في النضال من اجل توحيد الوطن واستقلاله وفي البناء الاشتراكى.

وبعد ان عاد القائد من زيارة مقبرة الشهداء، اعرب عن ارتياحه البالغ لتغيير ملامح المقبرة، بتصوير وجوه الشهداء بالاحجار هذه المرة، وسأل الكوادر.

"طبعا، ذهبتم لزيارتها جميعا؟"

تجمد الكوادر في مكانهم بسؤاله هذا، وقالوا:

"لم نذهب اليها بسبب ضيق الوقت..."

آنذاك، تغير وجهه المشرق بغتة.

لامهم كيم جونغ ايل قائلا انه اذا لم يذهبوا بعد الى مقبرة الشهداء الوطنيين، علما بانه تم تصوير وجوه الشهداء فيها بالاحجار، فان ذلك يظهر افتقارهم الى الواجب الاخلاقى الثورى والمحبة الرفاقية، وعلينا ان لا ننسى دائما الشهداء الوطنيين الذين سقطوا في النضال من اجل تحرير الوطن، والبناء الاشتراكى، وفي سبيل قضية توحيد البلاد. واضاف قائلا:

ان الثوريين الكوريين هم الاناس الحقيقيون الذين يعتزون بالواجب الاخلاقى الثورى اكثر من مصير انفسهم. وبناء على هذا الواجب

الاخلاقى السامى، تحققت وحدتنا المتلاحمة بقلب واحد، وتم خلق التاريخ المشرف للثورة الكورية. ان حزبنا قوى، وثورتنا لا تقهر، لمواصلة تقاليد الواجب الاخلاقى الثورى التى اوجدها الرئيس كيم ايل سونغ، وتطويرها بصورة رائعة.

وفيما هم يصغون الى حديثه هذا، والخجل يجللهم.

قال القائد وهو ينظر اليهم:

"انصحكم جميعا بالذهاب الى مقبرة الشهداء الوطنيين. اذا زرتموها، فسيشعر رفاقنا الرواد بالراحة والطمأنينة وهم فى رقدتهم الأبدية."

عودة الناس

كان ثمة في طيات التاريخ قصة مؤلمة، تقول إن روسيا ابلغت السلطات الفرنسية بعزمها على تسليم عساكر جيش نابوليون الذين وقعوا اسرى بعد توغلهم في موسكو. لكن مملكة بوربون الحديثة، رفضت ذلك. فاضطر الاسرى الفرنسيون الى معاناة الشقاء في سجون روسيا لمدة ثلاثين عاما تقريبا. وبعد ذلك، امتهنوا الزراعة في ارض خلاء بعد انهيار السجن، وهم يذرفون الدموع حنينا الى وطنهم...

ولكن في كوريا وقع امر مؤثر، على العكس من ذلك. اذ عاد الى الشمال دفعة واحدة، اكثر من ستين اسيرا حافظوا على ايمانهم حتى النهاية، رغم معاناتهم في السجن لعشرات السنين في جنوبي كوريا.

ذات يوم من شباط عام ١٩٩٤، العام التالى لارجاع لى اين مو، الأسير الصامد، الى الشمال وسط انظار العالم، قال كيم جونغ ايل لاحد الكوادر انه ينبغى علينا احضار بقية الاسرى الصامدين ايضا، الذين مازالوا في جنوبى كوريا، مثلما احضرنا لى اين مو. في العام الماضى،

قدمت مهمة الاطلاع على اسمائهم وعناوينهم جميعا. لم ترد في تاريخ البشرية قصة عن ثوريين لم يستسلموا وظلوا يناضلون في السجون خلال ٣٠ ـ ٤٠ سنة، الا من بين الثوريين الذين تمت تربيتهم وتأهيلهم من قبل حزبنا. واشار الى ما يلى:

اننى أعتبر مسألة احضار اولئك الاسرى، كواجبنا الاخلاقى الثورى لرفاقنا الذين ناضلوا دعما لحزبنا على طريق الثورة، كما أراها محبة قيمة ينبغى لقائد الثورة ان يوليها لجنوده.

وبعد ذلك، لم يغب عن ذهنه حتى ولو لحظة واحدة، اولئك الاسرى الذين يعانون من الشقاء في الشطر الجنوبى، واتخذ سلسلة من الاجراءات لارجاعهم. ففي لقاء القمة الشمالى الجنوبى التاريخى، المنعقد في حزيران عام ٢٠٠٠، حيث جرى نقاش مسألة توحيد البلاد، كان في حسبانه المناضلون الوطنيون، دعاة التوحيد، الذين ينتظرون بفارغ الصبر يوم عودتهم الى الشمال.

وعندما طلب منه كيم داى جونغ بالحاح حل مسألة "افراد الاسر المشتتين" حتما، وهما في داخل السيارة الجارية الى قاعة المأدبة في دار موكران، بعد انتهاء المحادثات المنفردة لاربع ساعات، قال له القائد كيم جونغ ايل ان الطرف الشمالى يخطط لارسال مائة شخص من بعثة الزوار من افراد العائلات والاقارب المشتتين، الى سيؤول، بمناسبة يوم الخامس عشر من آب (يوم تحرير كوريا)، ويكفي الطرف الجنوبى ايضا ان يفعل ذلك، ومقابل ذلك، مطلوب منه اعادة الاسرى الصامدين الينا. اعاد كيم جونغ ايل تأكيد هذه المسألة لكيم داى جونغ، في داخل السيارة العائدة الى مقر الاقامة من قاعة المأدبة. وهكذا، تم تدوين مسألة اعادة هؤلاء الاسرى في اعلان الخامس عشر من حزيران الشمالى الجنوبى المشترك.

ورغم ان مسألة اعادتهم اصبحت امرا واقعيا، لكنه لم يكن مرتاح البال بها فيما بعد ايضا.

اوصى كيم جونغ ايل الكوادر بانه اذا عاد الاسرى الصامدون، يجب معاملتهم معاملة افضل، وابرازهم في المقام الاول والافتخار بهم عاليا.

في يوم الثانى من ايلول عام ٢٠٠٠، بعد عدة اشهر من ذلك، عاد ٦٣ اسيرا الى الشمال. وقد منح لهم لقب بطل الجمهورية وجائزة توحيد الوطن، وتوفرت لهم افضل الظروف الحياتية. وحين رزق احدهم ببنت لطيفة، اطلق القائد عليها اسم "تشوكبوك" (المباركة).

الموقف الثابت

بعد مرور وقت طويل على وفاة الرئيس كيم ايل سونغ، اقترح احد اعضاء المكتب السياسى للجنة الحزب المركزية على القائد كيم جونغ ايل، اجراء الفعاليات لانتخابه في اعلى مناصب الحزب والدولة.

رفض القائد اقتراحه هذا رفضا قاطعا، قائلا بنبرة جدية انه لا يجوز اطلاقا ان يتحول نحيب التعزية الى هتافات ترحيبية، وأضاف:

"يكفى للشيوعيين صنع الثورة فقط، بغض النظر عن المناصب الحكومية. ... بقيت أفكر دائما بأننى جندى للزعيم. سأعمل لمواصلة واكمال القضية الثورية للزعيم بكونى جنديا له، دون تغير سواء في اثناء حياته او في الحاضر بعد وفاته."

وبعد استغراقه في التفكير للحظات، تذكر ظهور التحريفيين من امثال خروشوف، ليشوهوا الواجب الاخلاقى للثوريين الى حد كبير.

حين كان ستالين على قيد الحياة، كان خروشوف قد اثنى عليه "كنابغة خالد"، وادعى نفسه بانه "تلميذ مخلص" له، بينما اطلق هتافات "عاش ستالين!" اكثر من غيره. ولكنه، بعد وفاة ستالين، استولى على اعلى مناصب الحزب والدولة بطريقة تآمرية، وبدأ يفترى على ستالين واصفا

اياه "الدكتاتور الغاشم"، و"الطاغية"، وحط من مآثره التى حققها في فترة البناء الاشتراكى والحرب الوطنية في الاتحاد السوفييتى، بذريعة مناهضة "عبادة الفرد". كان التحريفيون المعاصرون بزعامة خروشوف، قد ازاحوا اسم ستالين عن كل المدن والمصانع والمؤسسات والكولخوز والسوفخوز والشوارع، وحطموا الانصاب التذكارية له، وبلغ بهم الامر حد اقتراف الاعمال الشنيعة لاخراج جثمانه الراقد في الساحة الحمراء وحرقه. وفاقهم الاشتراكيون الديمقراطيون المعاصرون في التشهير بشخصية الزعماء السابقين وطمس مآثرهم. وبينما هاجم التحريفيون المعاصرون ستالين بقناع المبادئ اللينينية من حيث الاساس، افترى الاشتراكيون الديمقراطيون المعاصرون على ماركس وانجلز ولينين ايضا، فضلا عن ستالين، حاقدين عليهم، بعد خلع حتى ذلك القناع...

عاد كيم جونغ ايل بذاكرته الى تلك الحقائق الماضية بمشاعر الألم، وواصل حديثه بنبرة حازمة.

لا يجوز لنا ان نشغل البال بشؤون الانتخاب، بل علينا ان نعمل فقط بعقولنا على كيفية صون قضية زوتشيه الثورية التى شق طريقها الرئيس كيم ايل سونغ، ومواصلتها واكمالها على اروع صورة. يتوجب علينا ان نسلك بثبات، طريق الثورة التى سلكها الرئيس، ونركز كل جهودنا على انجاز قضيته. ...

الى الاعلى دائما

ذات يوم كان التاريخ فيه يقترب من شهر واحد على وفاة الرئيس كيم ايل سونغ، جاء القائد كيم جونغ ايل مرة اخرى الى قصر كومسوسان للاجتماعات (في ذلك الوقت).

تجول القائد في اركان القصر، قائلا انه ينوى اليوم التشاور مع المعنيين حول مسألة الحجرة التى سيرقد فيها الرئيس بملامحه الحية، وأوقف خطاه في احدى الصالات. ان هذه الصالة المسماة بـ "ردهة جبل كومكانغ"، نظرا لوجود الجداريات التى تصور جبل كومكانغ حيث ينتصب الشلال المنعش الجليل وتتناسق الاعمدة الصخرية والاجرف المتعددة الاشكال مع مختلف انواع الازهار واوراق القيقب، كانت معروفة على نطاق واسع بين الناس من خلال الصحف وشاشات التلفزيون. في هذا المكان، التقى الرئيس كيم ايل سونغ عددا كبيرا من الناس في داخل البلاد وخارجها، والتقط معهم الصورة التذكارية، كما عرف الضيوف الاجانب بجمال كوريا وعراقتها، مشيرا الى تلك الجداريات.

وفيما القائد يتأمل الجداريات ومحيطها بنظرة تنم عن الذكريات العميقة، قال انه تفقد اليوم مختلف الاماكن في قصر كومسوسان للاجتماعات، وفيه يجب بناء المكان الذى سيرقد فيه الرئيس بملامحه الحية الى الابد.

اعرب الكوادر عن الموافقة على قوله هذا، وهم يفكرون في انه لأمر معقول جدا ان يرقد الرئيس في هذا القصر لانه يمثل مكتبا استعمله اكثر من غيره، وتتشرب فيه رائحته بأكثر كثافة من الاماكن الاخرى. لكنهم لم يكونوا على دراية بان ذلك ليس كل ما سرى في خلده، بل كان لديه سبب اهم من ذلك.

في وقت لاحق، قال كيم جونغ ايل للكوادر ما يلى:

"حرصت على ترتيب الغرفة التى سيرقد فيها الرئيس بالشكل الذى كان عليه في حياته، في اعلى مكان، عنذ بناء قصر كومسوسان التذكارى كمكان زوتشى مقدس من الدرجة الاولى. وبسبب وجود قبر لينين تحت منصة الرئاسة في الساحة الحمراء، فإن افراد المنصة يقفون فوقه عند اجراء الفعاليات، مثل العرض العسكرى. وهذا تصرف مخالف للواجب

الاخلاقى. فحرصت على ترتيب الغرفة التى سيرقد فيها الرئيس بملامحه الحية، في اعلى مكان، حتى يقدم الزوار له التحيات، صعودا على الدرجات الحجرية من الاسفل. هذا واجبنا لأننا جميعا جنود الزعيم."

تحية الاحترام المقدمة من خط الجبهة الامامى

كان ذلك في يوم الخامس عشر من نيسان عام ١٩٩٧ الذى يصادف الذكرى الخامسة والثمانين لميلاد الرئيس كيم ايل سونغ.

في هذا اليوم الاغر ايضا، كان القائد كيم جونغ ايل على طريق التوجيهات الميدانية المتواصلة لوحدات الجيش، وتوقفت خطاه امام احدى الصخور المنبسطة الواسعة في جبل زيهى الواقع في خط الجبهة الامامى. اما هذه الصخرة، فقد استعملها الرئيس كيم ايل سونغ كطاولة عملياتية، بعد صعوده هذا الجبل في يوم ٢٣ من ايلول عام ١٩٥١، حين كانت حرب التحرير الوطنية على اشدها. بسط الرئيس خريطة العمليات على هذه الصخرة، وتلقى تقريرا عن وضع الجبهة من القائد الميدانى، ومن ثم، قرر نهائيا اتجاه الضربة الرئيسية "للهجوم الخريفي" المعادى.

بعد ان دنا القائد كيم جونغ ايل من نصب الاشارة الى التوجيهات الميدانية، الذى يروى هذه القصة، استغرق في تفكير عميق للحظات، ثم قال وهو يجول بناظريه حول الكوادر:

"لم نقدم اليوم تحية الاحترام للرئيس في قصر كومسوسان التذكارى، لاننا نستقبل يوم الخامس عشر من نيسان في خط الجبهة الامامى. فلنقدم التحية للزعيم العظيم امام نصب الاشارة الى توجيهاته الميدانية، القائم في جبل زيهى."

وقف المرافقون امام هذا النصب معه بمشاعر سمو، متأثرين.

بعد صمت، دوى صوته الجهورى في انحاء الجبل.

"استعدوا! التحية!"

إبكاء الكادر

ذات يوم، توجه احد الكوادر الى مكتب القائد كيم جونغ ايل، وقلبه مغمور بفرح لا يوصف. وكانت بيده وثيقة خاصة بتعزيز قدرة الدفاع الوطنية وهى مسألة أولى لها الرئيس كيم ايل سونغ جل اهتمامه اثناء حياته، وانتظر حلها بفارغ الصبر. كانت وثيقته هذه موفقة تماما.

حين وصل الكادر الى عتبة المكتب، فتح الباب بهدوء، وهو يكبح المشاعر المتدفقة بصعوبة. ترك القائد عمله جانبا، وكأنه في انتظاره، وفتح الوثيقة. لم يسمع في داخل المكتب الساكن، الا صوت تقلب اوراق الوثيقة بانتظام.

وبعد لحظات، نهض القائد من مقعده، وبيده الوثيقة التى قرأها تماما، ثم اقترب منه وامسك بيديه بقوة، وقال:

"هيا، لنذهب الى الرئيس."

(؟!...)

لحظة، فقد الكادر تركيزه، حتى بات في حلم خيالى الى حد دفعه ان ينقل بعض خطواته، وراء القائد الذى راح يخرج من المكتب بخطى واسعة.

لم يوقف القائد خطاه الا في لحظة تجاوزه عتبة المكتب. وسرعان ما تغير وجهه المغمور بالابتسامة والفرح الى لون غامق. اذ انه نسي في تلك اللحظة الواقع دون وعى منه، لانه يعيش دائما في رغبة لاسعاد الرئيس كيم ايل سونغ.

وفيما القائد ينظر اليه بهدوء، قال للكادر بنبرة مبحوحة انه يخيل اليه حتى الآن ان الرئيس مازال حيا من كل بد، وكلما يتلقى تقريرا عن حل مسألة من المسائل التى كان الرئيس يشغل باله بشأنها اثناء حياته، لا يمكنه ضبط نفسه من توجه خطواته تلقائيا الى المكتب الذى كان الرئيس يعمل فيه.

امسك القائد بقوة بيدى الكادر الذى جادت عيناه بالدموع، وقال:

"أبكيتك، وقد جئتنى بخبر سار."

الى ف. اى. لينين

في يوم الرابع من شهر آب عام ٢٠٠١، شهدت الساحة الحمراء بموسكو حدثا مثيرا بزيارة القائد كيم جونغ ايل، لضريح لينين.

لقد اعتبرت الساحة الحمراء بموسكو، حيث يرقد جثمان لينين، مكانا مقدسا للاتحاد السوفييتى، وللثورة العالمية ايضا، في حقبة الاتحاد السوفييتى السابق. كان رؤساء الاحزاب والدول في البلدان الاشتراكية، الذين يزورون الاتحاد السوفييتى، يزورون ضريح لينين كعادتهم، واعتبروا من اعرافهم الاخلاقية ان يعربوا عن احترامهم للينين، الزعيم العظيم للطبقة العاملة العالمية، ومؤسس الحزب الشيوعى السوفييتى والدولة السوفييتية.

ولكن هذه الاعراف اختفت بعد انهيار الاتحاد السوفييتى. فقد كانت الافتراءات على لينين وتشويه سمعته مسموحة علنا، ودارت حتى الادعاءات السافرة لإزالة ضريحه.

وفي ضوء هذا الوضع الحاد، لم يخف المرافقون قلقهم من زيارة القائد المرتقبة لضريح لينين.

ولكن القائد اكد لهم بانه سيذهب حتما الى ضريح لينين خلال زيارته الاخيرة، غير آبه بمن يقول ويقال، ويود زيارة ضريحه بدافع من الواجب الاخلاقى للثورى الحقيقى تجاه الزعيم. واذا كان هناك من يفترى على زيارته لضريح لينين، فهذا يعنى انه يكشف بنفسه تلقائيا، كائنا من كان، انه انسان رذيل يجهل الواجب الاخلاقى، واضاف يقول: اللؤلؤ يشع نوره حتى في غمرة الوحل. اذا زرنا ضريح لينين بكل جرأة، فى وقت يغدو فيه ضريح زعيم الطبقة العاملة العالمية، عرضة للنبذ والتشهير من قبل خونة الثورة، فان ذلك سيثبت تماما ما هو الواجب الاخلاقى السامى للثورى الحقيقى. ...

وهنا، صرح القائد بحزم:

"مهما كانت اقاويل الآخرين، لا بد لنا ان نزور ضريح لينين، وفقا للخطة."

عندما وصل موكب سيارته الى الساحة الحمراء حيث يرقد لينين، وقف المرافقون مذهولين. اذ ان الطرف الروسى، الذى لم يخطرهم حتى الصباح بكيفية اجراء مراسم زيارة الوفد للضريح، قد اكمل الاستعدادات للاستقبال واوقف حرس الشرف ايضا.

خلال السنوات العشر الماضية، كانت الساحة الحمراء مقفرة وموحشة لانه لم يقم احد من رؤساء الاحزاب والدول في البلدان الاخرى، بزيارة ضريح لينين فيها، واختفى اثر حتى "المخفر الرقم ١" لحرس الشرف. لكنها كانت غارقة بأجواء الفعاليات الحاشدة في هذا اليوم.

دنا القائد كيم جونغ ايل من ضريح لينين ببطء وعلى محياه علائم الجد، وهو يمشى على البلاطات الساخنة بأشعة الشمس في عز الصيف. وامامه، كان جنديان روسيان شابان يتحركان بانتظام وبأيديهما اكليل من الزهر باسمه. رغم قصر المسافة، المعدودة بعدة خطوات، عمل الصحفيون القادمون من روسيا ومختلف انحاء العالم بنشاط، حتى لا

تفوتهم الفرصة التاريخية. كما راقبت كل اراضى موسكو وروسيا، والعالم قاطبة، ملامح القائد الجليلة، حابسة أنفاسها.

حين تراجع الجنديان الى الجانب بخطوة واحدة، بعد وضع اكليل من الزهر امام الضريح، تقدم القائد الى الامام ورتب الشريط لتظهر عليه العبارات:

"الى ف. اى، لينين. كيم جونغ ايل"

كانت مسحة من السمو والاجلال تنساب في عينى القائد الذى يعبر عن آيات احترامه لضريح لينين بصمت.

كان العالم يجيش بخبر زيارته لضريح لينين، وقال:

"ان يوم الرابع من شهر آب، هو يوم التقى فيه ضريح لينين، الذى كان يعانى من الاذلال والاهانة من قبل رجعيى التاريخ بمختلف مشاربهم، منقذ حياته. كانت زيارة الرفيق كيم جونغ ايل لضريح لينين بمثابة العزيمة الكبرى التى الهمت الثوريين في العالم كله، القوة والشجاعة غير المحدودة في نضالهم الرامى الى الاشتراكية، كما انها كانت حدثا تاريخيا زاد الثقة بان الحركة الاشتراكية ستتكلل بالظفر حتما، عندما تسير وراء الرفيق كيم جونغ ايل وامثاله."

"ان الاحترام السامى من قائد قضية الاشتراكية في القرن الواحد والعشرين الى رائد قضية الاشتراكية في القرن العشرين، يعد حدثا مثيرا اظهر الواجب الاخلاقى البارز للرفيق كيم جونغ ايل، بكونه زعيم قضية استقلالية العالم." ...

٦) التواضع

زهرة القطن

حدث ذلك في احد الايام من ايلول عام ١٩٦٩، حين زار القائد كيم جونغ ايل حقول القطن في احدى المزارع.

عبر القائد عن ارتياحه لاجادة زراعة القطن وهو ينظر الى حقوله، وطلب الى الكوادر ان يتحدثوا بدورهم عن الزهرة التي يحبونها. فكانوا يعدون انواع الازهار التى يحبونها، مثل الاضاليا وسوسن الوادى والورد، كل على حدة، قائلين انهم يحبون الازهار الجميلة والعطرة.

بعد ان استمع كيم جونغ ايل الى ردودهم، قال ان الناس يحبون الازهار الجميلة والعطرة بالطبع، وانه لمن الامر المنطقي ان يحب الناس الورد لانه جميل وعطر، كما قلتم، ولكن هناك ثمة زهرة اجمل من الورد، وهى زهرة القطن. وانه يحب هذه الزهرة.

لم يستطع احد الكوادر ان يتخلص من الشكوك، حتى بعد عودته الى المسكن في مساء ذلك اليوم، فسأله بلا تكلف هل صحيح ان يحب زهرة القطن.

اجابه القائد مبتسما انه سيسأله اولا لانه قد لا يفهم جيدا، اذا رد عليه بكلمة واحدة، مشيرا الى ان هناك نوعين من الناس؛ الاول هو جميل الوجه وتفوح منه رائحة العطر، لكنه لا يعمل باخلاص، بل يحاول كسب منافع شخصية فقط. والثانى غير وسيم ولا تفوح منه رائحة العطر، لكنه يعمل باخلاص، تابعا ضميره، غير عابئ بأحد قد يراه ويقدره، فاى منهما اجمل؟

"الثانى هو الاجمل."

سرعان ما رد عليه دون تفكير.

وقال القائد له انه على حق، واضاف:

ان الشخص الجميل في مجتمعنا الاشتراكى الذى يناضل فيه الناس بشعار "الواحد للجميع والجميع للواحد!"، هو من يعمل باخلاص من اجل الوطن والشعب. ليس هناك من يكره الوجه الجميل ورائحة العطر. ولكن، اذا لم يتمتع ذلك الوجه الجميل ورائحة العطر تلك بمحبة الشعب، سيغدو قبيحا ومكروها. ثمة مثل يقول ان العمل اجمل من الوجه. ...

عندئذ فقط، بدا انه يفهم قصده. ومضى القائد في الحديث:

اذا شبهنا النوعين من هؤلاء الناس، مجازا بالزهرة، فان الاول شبيه بالورد المتدلى، والثانى شبيه بزهرة القطن. يتم زرع الورد المتدلى كثيرا للزينة، لكنه لا يترك اى اثر بعد زوال الزهور. لكن زهرة القطن تعطى للناس القطن الرائع، رغم انها غير جميلة وعطرة، كما هو الحال مع الورد. ...

وقال:

"زهرة القطن لا تبرز نفسها امام الناس، رغم انها تحسن صنعا على هذا النحو. وبالعكس، فهي لا تفتح ندفتها على مداها، وتظل مفتوحة حانية رأسها الى الارض، كأنها تشعر بالخجل.

أنا احن اليها واحبها كثيرا، لانها زهرة لا تعرف ابراز نفسها، رغم ادائها للعمل العظيم."

حصيرة الزهور وحصيرة الإبر

حدث ذلك في احد الايام من آذار عام ١٩٧٤، حين التقط المشاركون في المؤتمر الوطنى للصناعة، صورة تذكارية مع الرئيس كيم ايل سونغ.

استدعى القائد كيم جونغ ايل الكوادر، ولامهم بصرامة، قائلا انه حين رأى الصورة التذكارية التى التقطها الرئيس كيم ايل سونغ مع المشاركين في المؤتمر الوطنى للصناعة، لم يجد من المتميزين بالعمل الا قليلا، فيما وجد كثيرا من الكوادر الحزبيين والكوادر الاداريين والاقتصاديين، وانهم اخذوا الصورة واقفين في الصف الامامى، ولم يتصرفوا كما يليق بهم.

ولامهم باستمرار قائلا:

ان نظرتكم الفكرية خاطئة، حينما تعتبرون انفسكم من الكائنات الخاصة. لقد اصبحتم متكبرين، حتى لا تعرفوا الاخلاق. طبعا ان لمن الامر الجيد ان تعتبروا التقاط الصورة التذكارية مع الرئيس، كشرف لكم. ومع ذلك، يجب عليكم ان تعرفوا كيف تتنازلون للمتميزين فى العمل، ليكونوا في الصف الامامى عند التقاط الصورة.

لم يستطع الكوادر ان يرفعوا وجوههم.

ومع ذلك كله، تكررت العيوب ذاتها بينهم في فترات لاحقة ايضا. اذ انه حين اكمل احد المشاريع البنائية الهامة، التقط الكوادر الذين اوفدوا اليه للعمل، صورة تذكارية بحضور الرئيس كيم ايل سونغ في الصف الامامى مرة اخرى.

فاستدعاهم القائد مرة اخرى، ولامهم قائلا انهم لم يتصرفوا كما هو مطلوب. وفي مثل هذا اليوم، يجب جعل العمال والتقنيين والعلماء، الذين تجشموا عناء اكثر من غيرهم في مشروع البناء، يلتقطون صورة في الصف الامامى القريب من الرئيس، بينما يقف الكوادر في الصف الخلفي، ان ارادوا التقاط الصورة، وهذا هو المفروض من آدابهم، أليس كذلك؟ واحدى فضائل الانسان الجميلة هى التنازل، فلماذا لا يعرف الكوادر مراعاة مثل هذه الاخلاق؟

واضاف قائلا:

"انه لانسان حقيقى من يقدم حصيرة الزهور للآخرين، ويجلس هو على حصيرة الإبر. أرجو ان يكون جميع الكوادر من امثاله."

ابن الشعب

حدث ذلك، حين كان القائد كيم جونغ ايل يشارك في مشروع توسيع الطرق بين حارة واسان – ريونغسونغ في مدينة بيونغ يانغ، مع زملائه الجامعيين في عام ١٩٦١.

ذات يوم، ظهرت في مدخل موقع العمل احدى العجائز، وبيدها دلو فارغ ومجرفة فحم. ربما ارادت اخذ الفحم الذى يخرج في موقع العمل بعض الاحيان.

سألها القائد عما اذا كان الفحم قد نفد في بيتها. وبعد ان استمع الى كلام العجوز بانها تتأسف ازاء الفحم الثمين المطمور تحت الارض، اتخذ فورا التدابير لازالة غطاء التربة واستخراج الفحم بالحفارة، ونقله الى مكان آمن، حتى يستفيد السكان منه. ومن ثم، حمل الفحم في دلوها بالرفش.

وحين عرفت العجوز لاحقا حقيقة هويته، توقفت عن السير، وعادت ادراجها وقالت متلعثمة: "اوه، لقد قمت بعمل خشن من اجل هذه العجوز...".

قال كيم جونغ ايل لها، شادا على يديها:

"... انا ايضا ابن الشعب العامل. لا امانع شيئا، إن كان ذلك لصالح الشعب. ليس في الدنيا افضل عملا مما هو من اجل الشعب."

اكبر ازعاج له

كان ذلك في احد الايام من آب عام ١٩٦٩.

ذهب احد الكوادر الى مقر اقامة القائد كيم جونغ ايل الذى مايزال

علــى طــريق توجـيهاته الميدانـية. وعـندما دخـل الدهليـز، رأى عاملــة الخدمـة تمـسح الدمـوع مـن عينـيها. فـسألها عـن الـسبب، مـستغربا الامر. فقالت لـه:

"لمـا دخلـت حجرتـه، وجدتـه يغـسل الملابـس. وحـين اردت اخـذ غـسيله كلـه والخـروج مـن الغـرفة، رفـض ذلـك طـالبا منـي ان اتـركه وشـأنه. فمـاذا افعل، يا ترى!"

عندما دخل الكـادر حجـرة القائد، وجده حقا ينشر القمصان والجوارب علـى المشاجب، ويعلقهـا بالمقاعـد فـي الممـر ذى الـتهوية، وكأنـه قـد انتهـى للتو من الغسيل.

استقبله القائد بترحاب، وقدم لـه كـوبا مـن مـاء في الترموس. كان ذلك ماء الارز المطبوخ، تعوم فيه قطعة ثلج.

كـان القائـد يحـب شـربه، قـائلا انـه لا يـوجد افـضل مـنه فـي موسـم الصيف.

قال له الكادر متساءلا:

" هل انت الذى تغسل الملابس بيديك؟ يمكن اسناد مثل هذا العمل الى عاملة الخدمة. أليس كذلك؟"

آنذاك، ابتسم القائد قائلا انه يرى اليوم الكثير ممن يتدخلون في شؤون حياته الداخلية.

قال لـه الكادر.

"ليس تدخلا مني، بل قلته لان الجميع يتمنون منكم عدم القيام بمثل هذا العمل."

قال القائد هذه المرة وهو يضحك بأعلى صوته:

"كيف عساى ان أترك عادة حياتية توطدت لدى منذ طفولتى؟"

رغم ذلك كلـه، توسل اليه الكادر ان يتخلى عن غسل الملابس فقط. فطالبه القائد بما هو السبب الذى يجعله يغير عادة حياتية لديه.

افضى الكادر اليه بما يدور في تفكيره بصراحة، قائلا ان الرفيق كيم جونغ ايل هو رجل يتطلع اليه جميع ابناء الشعب في البلاد، فما هو السبب في قيامه بمثل هذا العمل خاصة.

فقال له كيم جونغ ايل انه يخطط لجعله اميرا، ثم سأله:

"ما هو الوقت الذى يزعجك اكثر؟"

لم يجب الكادر على الفور، فتابع القائد يقول:

أكثر ما يزعجنى هو مثل هذا الوقت. بعبارة اخرى، يحز فؤادى للغاية، عندما يرانى الناس ككائن خاص، ويسعون لمعاملتى معاملة متميزة. لا يمكننى ابدا ان اعبر عن مدى عذابى هذا، لا بالقول ولا بالكتابة. واذا عبرت عنه طوعا او كرها، فأقول اننى متألم ومنزعج وكأننى اجلس على "حصيرة الإبر".

عندئذ فقط، ادرك الكادر ان نصيحته قد آلمته، وظل مذهولا، بينما مضى كيم جونغ ايل في حديثه.

ان زعيمنا كيم ايل سونغ يرى ان الشعب دائما فوقه، وانه ابن الشعب. ومن هذا المنطلق، ظل يعيش بأكثر احتشاما وتواضعا طوال حياته، وهو يشاطر الشعب السراء والضراء. وعقيدتى في الحياة ايضا لا تختلف عن العقيدة الحياتية للزعيم. فيكون الشعب فوقي انا، كيم جونغ ايل، وانا من ابناء الشعب. هذه هى عقيدتى فى الحياة. لم ارغب في اية امتيازات او معاملة تفضيلية خاصة، ولن ارغب فيها في المستقبل ايضا، حتى يمكننى اداء الواجب الجدير بابن الشعب. الأكثر فرحا وسعادة لى، هو ان اعيش بتواضع مثل ابناء الشعب. لذلك، من الآن وصاعدا، لا يجوز لكم ان تنصحونى على الاطلاق بان اتمتع بالامتيازات او المعاملة التفضيلية الخاصة، مثل فرض الغسيل على الآخرين. ان نصيحتكم بان اتمتع بهذه الامتيازات والمعاملة التفضيلية الخاصة، اشبه بان تجلسونى على "حصيرة الإبر". ...

انتظار دوره

بعد ظهر احد الايام من تشرين الاول عام ١٩٧٢، دخلت احدى السيارات من الباب الامامى لاحدى محطات الوقود في مدينة بيونغ يانغ، مطلقة المنبه. اوقفها الحارس، وتوعد السائق وهو يصرخ في وجهه، قائلا:

"لماذا تأتى بسيارتك الى الباب الامامى؟ ينبغى عليك ان تدخل من الباب المحدد لتسلم الوقود. ادر السيارة واذهب بها الى الباب الخلفى."

فنزل السائق من السيارة وحيا الحارس بتأدب، وتوسل اليه ان يسمح له هذه المرة لانه مشغول. لكن الحارس رفض ذلك رفضا قاطعا.

حين شاهد مسؤول المحطة هذه الواقعة، تأثر بسلوك السائق المهذب، الى ان راودته فكرة بان تصرف الحارس مبالغ فيه.

في هذا الوقت بالذات، انفتح باب السيارة الى نصفه، وخرج منها صوت رخيم ينصح باستدارة السيارة في الحال، اذا كان النظام في هذه المحطة يقضى بدخول السيارة من الباب الخلفي لتعبئة البنزين وخروجها من الباب الامامى.

وبعد لحظة، فتح الباب الخلفي للسيارة بهدوء، ونزل منها رجل شاب وعلى وجهه ابتسامة عريضة. وقال لمسؤول المحطة الذى حياه، انه متأسف جدا، بسبب محاولة الدخول من الباب الامامى غير عارف بالنظام، لانه غريب هنا، مشيرا الى انه لم ينتبه لنظام المحطة، مركزا تفكيره على حاجتهم، بسبب ضيق الوقت. ثم اوصى السائق باستدارة السيارة، ووجوب التزامه بالنظام خاصة، ووجوب مراعاة الجميع للنظام وقواعد القانون عن طواعية، عامة.

وهكذا، توجهت السيارة الى الباب الخلفي. توقف المسؤول في مكانه لحظات، وهرول الى الباب الخلفي لانه بدا له ان الرجل ليس رجلا عاديا ابدا.

كانت سيارته تنتظر دورها في آخر صف من السيارات. حين عرف مسؤول المحطة هويته من خلال السائق، اسرع الى السيارات المصطفة امامها ليدعو لإفساح الطريق لان السيارة المستعجلة تقف في الآخر. فأفسحت كل السيارات الطريق لها وهى تطلق المنبهات. وطلب المسؤول الى السائق ان يتقدم بالسيارة الى الامام.

عندما استعجل السائق لتقدم السيارة الى الامام وهو يطلق المنبه، نصحه القائد بهدوء قائلا:

اياك ان تتصرف هكذا. لا يجوز لنا تجاهل مراعاة النظام. اذا انتظر الآخرون دورهم، فلا بد لنا، نحن ايضا، ان نحذو حذوهم. علينا ايضا ان نتقيد بأنظمة القانون للمجتمع والشعب.

وهكذا، ظلت السيارة التى تقل كيم جونغ ايل، تنتظر دورها، شأنها شأن السيارات الاخرى.

حين دخلت السيارة فناء المحطة، حياه المسؤول مجددا، فقال له القائد مبتسما؛ هل تحيينى مرتين؟!، لقد سببنا لك المتاعب، وكان الامر يكفي لو تبعنا صف السيارات ودخلنا بالدور.

ومن ثم، قال القائد للسائق انه يبدو ان السائق فقط مسموح له بالدخول الى فناء المحطة، عندما تدخل السيارات لتعبئة البنزين. ومادام ذلك واحدا من الانظمة المحددة في المحطة، فلا بد لنا ايضا ان نلتزم به، واوصاه بان يدخل وحده لتعبئة البنزين.

رغم ان المسؤول قال له ان بامكانه الجلوس في داخل السيارة، الا ان كيم جونغ ايل لم يقبل ذلك، وظل واقفا على طرف الطريق.

راكب القطار العام

كان ذلك في احد الايام من حزيران عام ١٩٧٥.

بعد ان تلقى القائد كيم جونغ ايل تقريرا عن ان الرئيس كيم ايل سونغ قد ابدى قلقه ازاء وضع الزراعة في البلاد، خلال زيارته لبلد آخر، توجه الى المنطقة الساحلية الغربية ليطلع على الاوضاع الزراعية حتى ساعة متأخرة من الليل، ومن ثم قال لمرافقيه ان يذهبوا الآن الى محافظة كانغواون على الساحل الشرقى، مما اوقعهم في حيرة وارتباك. اذ انه قلب توقعاتهم بانه سيتجه الى بيونغ يانغ. فطلبوا اليه ان يغادر في اليوم التالى، اذا شاء ذلك، لان الوقت قد تأخر كثيرا في حينها.

لكن القائد قال لهم ان الرئيس كيم ايل سونغ يقلق على وضع الزراعة في الوطن، حتى وهو في بلد اجنبى بعيد، فكيف يمكننا ان ننام ونشعر براحة البال؟! علينا ان نذهب الى محافظة كانغواون في غضون هذه الليلة لنطلع على وضع الزراعة في الساحل الشرقى بالكامل.

فقال له الكوادر انهم سيعدون السيارة في الحال. ولكن القائد قال انه سيذهب بالقطار، حتى يستريح سائقو السيارات.

وبينما سارع الكوادر لتحضير القطار الخاص، نبههم القائد الى انه لا داعى لتحضير ذلك القطار لوحده، بل يجب التقيد بجدول تسيير القطارات كما هي عليه، في السكك الحديدية. واذا تمت تهيئة القطار الخاص المستقل في هذه الليلة، فقد يسبب ذلك عائقا لتسيير القطارات. وسألهم، في اى ساعة يسير القطار الى جهة واونسان؟

وحين أبلغه احد الكوادر موعد القطار، تحدث راضيا بذلك:

"لكونى من العاملين الذين يعملون من اجل الشعب، سأذهب انا

ايضا بذلك القطار العام الذى يركبه الشعب".

ثم، انصرف الى محطة السكك الحديدية، وركب القطار العام بعد انتظاره.

بعد عدة ايام من ذلك، تلقى احد المسؤولين في محافظة هامكيونغ الجنوبية اتصالا يفيد بان القائد كيم جونغ ايل سيمر باحدى محطات القطار في محافظته، بعد توجيهه الميدانى لمحافظة كانغواون.

حين وصلت سيارة المسئول الى رصيف المحطة، بعد سيرها بأقصى سرعة، كان القطار يدخل به الى المحطة وهو يطلق المنبه.

(كدت أتأخر.)

سار المسؤول في مواجهة القطار، ثم تسمر في مكانه جامدا، لان القطار كان عاما وليس خاصا. ساورته الشكوك في عينيه، فعاد يتفرسه، لكنه لم يكن سوى قطار عام!

(أ يمكن ان يكون القطار الخاص خلفه؟ ...)

في هذا الوقت بالذات، تناهى الى مسمعه صوت جهورى مألوف: **"لقد جئت هنا، ايها الرفيق الامين المسؤول".**

كان القائد كيم جونغ ايل يبتسم ابتسامة عريضة في احدى عربات ذلك القطار العام. لم يختلف القائد عن الركاب الآخرين في الهندام والمظهر. لقد شاهد المسؤول عن كثب مدى بساطته وتواضعه، واستمع اليه كثيرا، ولكنه لم يتصور اطلاقا انه يمضى في سلوك طريق توجيهاته الميدانية، راكبا القطار العام مع الركاب العاديين، حتى رق قلبه واربدت عيناه.

قال له كيم جونغ ايل انه الآن في معمعة الاطلاع على وضع الزراعة في البلاد منذ عدة ايام، وتعرف على نتائج غرس اشتال الارز في محافظة هامكيونغ الجنوبية، واعطاه مهمة الاسراع بالتعشيب وزيادة إنتاج الاسمدة الى حد كبير. ومن ثم، اخذ مقعده مجددا في العربة البسيطة من القطار العام.

لقد غادر القطار. ولكن، لم يكن هناك كثير ممن عرفوا ان القائد

كيم جونغ ايل يستقله بمظهر عامة الشعب، وكمسافر بالقطار العام.

خيبة الامل "للمبعوث الخاص"

في يوم التاسع من شباط عام ١٩٨٧، جاء احد الكوادر المسؤولين الى القائد كيم جونغ ايل، ليطلب منه الموافقة على اقامة احتفال كبير بعيد شباط، عيد ميلاده هذا العام، تعبيرا عن مشاعر الرفاق القلبية، والرغبات العارمة لجميع ابناء الشعب الكورى.

بعد ان استمع القائد اليه حتى النهاية، قال له مبتسما.

أراك مثل مبعوث خاص جاء لاقناعى. لقد علت على وجهك فكرة بانه يمكن تحقيق الغاية بالالحاح عليها. طبعا ان هناك مثلا يقول ان المولود الباكى يرضع اولا.

ومضى في حديثه.

انا اعرف جيدا ما يدور في تفكيرهم. كما اعرف جيدا مشاعر شعبنا الذى يعتز بى ويحبنى. هذا يكفينى. كلما تقترحون على اجراء فعالية ما، بدعوى حلول عيد شباط، اجد نفسى حقا في حيرة وارتباك. انا جندى للرئيس في كل الاحوال. فيوم ميلاد الجندى ليس عيدا. يجب علينا ان نحتفل بعيد نيسان الذى ولد فيه رئيسنا فقط، احتفالا كبيرا كأكبر حدث مبارك للامة. يسرنى غاية السرور ان ارى ابناء شعبنا يحتفلون بعيد نيسان في فرح وسعادة. ...

هز كلامه هذا فؤاد الكادر بشدة. ولكنه لم يستطع التراجع عن فكرته. وحينما رآه القائد لا يريد الانسحاب من مكانه، أنبه بصرامة، قائلا: الامر يختلف مع الآخرين، ولكن اذا فعلت انت هذا ايضا، فلا اجد نفسى الا في موقف حرج. انت تعرفنى جيدا، أ ليس كذلك؟ رجائى ان تعود حالا لنقل

كلامى اليهم. انى ممتن لكم على الاقتراح لإسعادى، ولكن لا استطيع ان اسمح اطلاقا بالاحتفال بيوم ميلادى على نطاق واسع. ...

بعد ان اكد القائد جوابه بنبرة حازمة على هذا النحو، ظل ينظر للكادر لحظات، ثم تابع يقول:

يقترب حلول الذكرى الخامسة والسبعين لميلاد الرئيس يوما بعد يوم، فدعونا آنذاك نحتفل بعيد نيسان على نحو يدعو الى السمو والاجلال.

كان كلامه هذا بمثابة اعلان بانه لا يمكن الاحتفال بيوم ميلاده كعيد، اطلاقا. وهنا، لم يجد الكادر المسؤول وسيلة اخرى. وعندما فكر في العودة دون جدوى، طفرت الدموع من عينيه.

حين قال له الكادر امنية الشعب مرة اخرى، متوسلا اليه، نصحه القائد، دون كبح مشاعره المنفعلة، قائلا:

ان شعبنا شعب طيب حقا. ولذا، اعبد شعبنا. كلما حل يوم ميلادى، اعود بذاكرتى العميقة الى عقيدتى المؤمنة بتفتح الازهار حتى على الصخرة، اذا كان ذلك صالحا لشعبنا. انها لمشاعرى الصريحة ان اقدم مجدا لشعبنا عن طريق تفتح الازهار الجميلة حتى على الصخرة، إن شاء ذلك.

ما كان بوسع الكادر ان يلجأ الى "الالحاح" اكثر من ذلك. فخرج من مكتب القائد، مفتونا بشيمه المتواضعة جدا.

المرسوم الصادر بعد ثلاث سنوات

في شباط عام ١٩٩٥، صدر مرسوم اللجنة الشعبية المركزية لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بعنوان "في اقرار يوم السادس عشر من شباط، يوم ميلاد القائد العزيز الرفيق كيم جونغ ايل، كأكبر عيد

وطنى"، وذلك بعد مرور ثلاث سنوات منذ اقراره.

في الواقع ان الرئيس كيم ايل سونغ وقع على هذه الوثيقة في يوم السابع من شباط عام ١٩٩٢ فى اثناء حياته. ولكن، يبدو انه لا يوجد كثير من الناس يعرفون لماذا تأخر اعلانها على الملأ على هذا النحو.

حقق القائد كيم جونغ ايل منذ زمن بعيد، المآثر الكبيرة لصالح البلاد والشعب، وفاء لغايات الرئيس كيم ايل سونغ، حتى حظى بالثقة المطلقة والاحترام اللامتناهى من لدن ابناء الشعب. وبعد ان انتخبه الشعب الكورى منذ وقت مبكر، خلفا عظيما للرئيس، شعر الشعب باعتزاز كبير وبانه محظوظ جدا بالزعيم لان لديه رجلا عظيما آخر. لقد تعالت بين ابناء الشعب الكورى منذ مدة طويلة، اصوات معبرة عن رغبتهم في اقرار يوم السادس عشر من شباط، يوم ميلاده، كأكبر عيد وطنى، شأنه شأن يوم الخامس عشر من نيسان، يوم ميلاد الرئيس، والاحتفال به احتفالا ذا مغزى عميق.

ومع ذلك، اعتذر القائد كيم جونغ ايل عن ذلك، وظل يقضى ايام ميلاده دائما في برنامج عمل مزدحم، مثل اداء شؤون الدولة او اسداء التوجيهات الميدانية للشعب.

ويوما بعد يوم، ازدادت الرغبة العارمة للشعب للاحتفال بيوم ميلاده احتفالا بالغ الاهمية. وعلى الاخص، انطلقت هذه الرغبة كمطلب شعبى عام لا يمكن كبحه، من خلال الرسائل والالتماسات التى بعث بها كثير من الناس بمناسبة الذكرى الاربعين لميلاده في شهر شباط عام ١٩٨٢. في هذه المرة ايضا، منع القائد كيم جونغ ايل حتى اعلان ميلاده، قائلا ان يوم ميلاد الرئيس كيم ايل سونغ فقط يعد اكبر عيد وطنى.

حين عرف الرئيس كيم ايل سونغ هذه الحقيقة، اتخذ اجراءات لاعلان يوم ميلاد القائد على الملأ، تحقيقا لامانى الشعب العارمة. وعلى ذلك، نشرت الصحف والاذاعات في كوريا في يوم الخامس عشر من شباط هذا

العام دفعة واحدة، مرسوم اللجنة الشعبية المركزية القاضى بمنح لقب بطل الجمهورية للقائد كيم جونغ ايل بمناسبة الذكرى الاربعين لميلاده، كعناوين خاصة، وجرت في يوم السادس عشر، اليوم التالى، مأدبة التهنئة بميلاده، التى اقامها الرئيس كيم ايل سونغ.

وسط فرح وابتهاج كبير للاحتفال بيوم ميلاد القائد علنا لاول مرة، كان الناس يتوقعون انه سيتمتع بعيده وهو يستريح هذه المرة فقط. ولكنه ذهب هذا اليوم ايضا الى احد مواقع البناء لتوجيه شؤونه على الطبيعة، قائلا للكوادر انه عهد اليوم للرئيس بأداء مزيد من الاعمال، وان رسالته على مدى حياته هى ان يقوم بمواصلة واكمال قضية زوتشيه التى شق طريقها الرئيس، جيلا بعد جيل.

نظرا لممانعته العنيدة، وهو الذى يتحلى بمثل هذا التواضع اللامتناهى، لم يكن ممكنا صدور المرسوم الذى صادق عليه الرئيس كيم ايل سونغ فى شباط عام ١٩٩٢، إلا بعد مرور ثلاث سنوات من ذلك.

٧) الارادة

شجرتا الصنوبر الجوزى

كان ذلك بعد ظهر اليوم العاشر من تشرين الاول عام ١٩٥٠، حين كان الجيش الشعبى الكورى على طريق التراجع الاستراتيجى المؤقت في فترة حرب التحرير الوطنية العصيبة.

بادر كيم جونغ ايل، وهو في صغر سنه، الى نقل شجرة الصنوبر الجوزى الفتية التى تعجبه، مع اخته الصغيرة، قائلا انه سيغرسها على سفح الجبل المشمس قرب بيته، تذكارا لليوم الاغر لتأسيس ابيه الرئيس كيم ايل سونغ لحزب العمل الكورى. ساعده الكوادر في نقل الشجرة بكل عناية، حتى لا تتكسر الجذور او تتضرر، ولا يسقط التراب منها، واستعدوا لغرسها.

حفر كيم جونغ ايل مع اخته، حفرة لغرس الشجرة. طالبه الكوادر اكثر من مرة بان يعهد العمل إليهم، لكنه لم يتنازل عن عمله ابدا، قائلا انه يجب حفر الحفرة لغرس الاشجار جيدا.

وبعد لحظات، قال لأخته ان يغرس كل منهما شجرة واحدة على حدة، وحملها مع الكوادر ووضعها في الحفرة.

وعندئذ، سألته الاخت عما اذا كانت شجرة الصنوبر الجوزى، شجرة طيبة. فأجابها:

انها شجرة طيبة حقا، وهى دائمة الاخضرار. كما انها صامدة بوجه العواصف الثلجية العاتية التى تهب في ايام الشتاء القارس. عندما يحل

فصل الخريف، تتساقط الاوراق من اغصان الاشجار الاخرى، بينما تبقى هذه الشجرة مخضرة. كما انها تثمر كثيرا.

قال كيم جونغ ايل، وهو ينظر الى اخته بمودة، ان هذه الشجرة صغيرة الآن، ولكن، اذا سقيناها كل يوم وربيناها بكل عناية، ستنمو طويلة باسقة وتثمر كثيرا، وعندذاك، سنأتى الى هنا مع والدنا. واذا رأى ابونا هذه الشجرة التى غرسناها، سيفرح جدا.

وفي اليوم التالى، قال كيم جونغ ايل لاحد الكوادر الذى يغادر الى مقر القيادة العليا، بلهجة تملؤها الثقة، ان الاوغاد الامريكيين لم يعد لهم حول ولا قوة، رغم انقضاضهم على بلادنا لابتلاعها. واذا احرقوا شجرة واحدة من الاشجار، فعلينا ان نغرس عشرة او مائة، حتى تغدو جبالنا وسهولنا اكثر خضرة. وعندما تكبر هذه الشجرة اخضرارا، ستصبح بلادنا الاغنى في الدنيا.

هكذا، غرس كيم جونغ ايل شجرتى الصنوبر الجوزى حتى في اقسى ايام الحرب، واثقا بانتصار الغد ثقة راسخة، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز ثمانية اعوام.

موضع الحب والكره

ذات يوم من تشرين الاول عام ١٩٥٨، طلب احد الكوادر الى القائد كيم جونغ ايل، الذى كان حينها يدرس في المدرسة الثانوية، ان يقول له ما الذى اكثر ما يحبه واشد ما يكرهه.

قال له كيم جونغ ايل مقهقها، وكأنه يعرف جيدا طبيعته التى لا تكبح فضوله.

"ما هو الشىء الذى احبه اكثر من غيره؟"

ثم تبادل الحديث معه، قائلا:

"انى احب الايمان الثورى، الذى ترسخ في قلبى كسند روحانى، حبا

اشد حرارة. اغلي الدم الساخن في قلبي، وانا اشدد مطالبتي لنفسي كل يوم، خشية حدوث أدنى تشقق في ايماني الثوري."

قال له الكادر:

"معلوم تماما. ولكن، من هم الذين تحبهم، او تحتقرهم اكثر من سواهم؟"

اجابه القائد:

"ان الانسان الذي احبه حبا جارفا، هو الذي يتحلى بالايمان الثابت ولا يتغير، مهما كانت قساوة الظروف، ومن الذي لا تتكسر ارادته ولا تنحنى.

أما الذي احتقره اكثر من سواه، فهو الخالي من الايمان، الضعيف الارادة والمنكسر بسهولة.

بعبارة واحدة، احب الناس الاقوياء في الايمان الثوري حبا حارا، واكره الناس الذين يتخلون عن الايمان الثوري، حتى يقشعر منهم بدني."

وقال له الكادر:

"عندي طلب آخر. فيما يتعلق بفلسفة حياة الثوري، أود ان تطرح لي حكمة ستكون رفيقة دربي الخالدة طوال حياتي."

رد القائد على طلبه قائلا:

"يجب على الثوري ان يفتح باب بداية حياته جيدا، ويغلق باب نهايتها جيدا ايضا. احبوا الايمان الثوري اكثر من ارواحكم طوال العمر، وكونوا خريجين ممتازين للحياة، يتوسدون الايمان الثوري عند الممات! هذا هو الكلام الذي أود ان أعهده اليك."

اعلان ذلك اليوم

حدث ذلك، حين كان القائد كيم جونغ ايل يزور جامعة موسكو في احد الايام من كانون الثاني عام ١٩٥٩.

كان لهذه الجامعة تاريخ عريق، اذ تأسست في الخمسينات من القرن الثامن عشر. وتطورت كجامعة واسعة النطاق لمدة اكثر من مائتى عام، وينضم اليها العديد من معاهد الابحاث الكبيرة، ومئات الكراسى الاكاديمية، ومائة وعشرات قاعات المحاضرات، و١٧٠٠ ونيف من المختبرات، و٤٠٠٠ ونيف من غرف الدرس، و٦٠٠٠ ونيف من غرف التدريس الفردى. كان ذلك امرا جديرا بالفخر علنا، بالنسبة للشعب في ذلك البلد.

وابعد من ذلك، ان مبناها الجديد الذى تم بناؤه قبل عدة سنوات، والمعدات التعليمية المزودة بجهد جهيد، كانت مدعاة لغبطة الناس.

تفقد كيم جونغ ايل بالتفصيل غرف الدرس وغرف الابحاث والمختبرات، وعلى وجهه امارات التشويق والجدية.

وعندما دخل ردهة الاستراحة، لخص له احد الكوادر الروس، كان يرافقه بجولته، نشأة الجامعة مرة اخرى، وهو يشرح مستعينا بالامثلة، قائلا ان شبابا من بلدان كثيرة في العالم، يدرسون في هذه الجامعة، وان العديد من الشخصيات الحكومية قد برزوا من بين خريجيها. وبغتة، قال له:

"ارجو ان تأتى الى هنا حتما للدراسة، بعد ان تتخرج من المدرسة الثانوية عن قريب. هذه ليست نصيحتى الدبلوماسية الفردية، بل هى رغبة جادة لهذه الجامعة، التى تعتز بالنوابغ من اجل تقدم البشرية."

لا ريب في ان الطلب كان مفعما بالصدق، لكنه رفضه قائلا:

"انا شاكر جدا لنصيحتكم، ولكن توجد عندنا ايضا في بيونغ يانغ جامعة رائعة.

سأدرس في جامعة كيم ايل سونغ مع رفاقى."

رغم انها جامعة يتطلع اليها الشباب والطلبة في قارات العالم الخمس، بعيون الحسد ويرغبون بلهفة في الدراسة فيها، لكن كيم جونغ ايل تخلى عن العرض، واعلن انه سيدرس في جامعة كيم ايل سونغ.

لم يدرك الناس الا في وقت لاحق من ذلك اليوم، كم كانت اجابته تعبر

عن مدى سمو غاياته وعظمة ايمانه!

"سأمجدك، يا كوريا"

صعد القائد كيم جونغ ايل، في اليوم الاول لالتحاقه بجامعة كيم ايل سونغ، وتحديدا يوم الاول من ايلول عام ١٩٦٠، تل ريونغنام مع زملائه.

كانت شمس الصباح التى طلعت من وراء نهر دايدونغ، تشع بنورها الذهبى على حقول المروج الخضراء، المترامية الاطراف، من بين الاشجار الاقزام.

اطل كيم جونغ ايل على جهة المبنى الرئيسى للجامعة، حاملا في كل انحاء جسده فجر الصباح، ويداه على خاصرته.

وبعد ان جال بناظريه حوله لحظات، قال بلهجة يغلبها الانفعال:

"انه لمن واجبنا السامى امام العصر والثورة، والوطن والشعب، ان ندعم قضية الزعيم جيلا بعد جيل، بكوننا سادة مسؤولين للثورة الكورية.

فلنمجد كوريا، بلد الشمس العظيم، الى الاجيال القادمة، هذا هو ايمانى الراسخ وارادتى الثابتة."

وقال انه يحس وكأن قصيدة ستخرج من فكره تلقائيا.

فطلب اليه الطلاب ان ينشدها. ووافق كيم جونغ ايل على ذلك بكل سرور.

حين اقف على تل ريونغنام عند الشروق
تتمثل في خاطرى ارض وطنى الممتدة على ثلاثة آلاف رى
سأكون سيدا مسؤولا عن الثورة الكورية
بعد تعلم غايات الزعيم السامية على هذه الارض
آه، يا كوريا، سأمجدك
...

أ انت اديب ام عسكرى؟

كان ذلك في صباح احد الايام من ايلول عام ١٩٦٢، حين كان القائد كيم جونغ ايل يقضى ايام التدريب العسكرى في المعسكر بحارة اوون، اثناء دراسته في جامعة كيم ايل سونغ.

في صباح هذا اليوم، سأله احد الطلبة المعسكرين، وهو ينزل من وادى الجبل، بعد ان غسل جسمه بمياه ينبوعه البارد كالثلج، رغم برودة الطقس القاسية.

"يبدو انك ستنطلق الى ميدان الشؤون العسكرية، بعد تخرجكم من الجامعة، أليس كذلك؟"

فوجئ كيم جونغ ايل بهذا السؤال غير المتوقع، فقال مقهقها: أ تريدون ان تعرفوا هل اكون اديبا او عسكريا في المستقبل؟ اذن، فما رأيكم انتم، ايها الرفاق؟

فقال له الطلاب عن افكارهم، كل على حدة.

- انه سيتجه الى مجال الاقتصاد السياسى، لانه يتخصص به.

- يبدو انه يضع غاياته في الشؤون العسكرية، بالنظر الى اهتمامه الخاص بها. ...

قال كيم جونغ ايل، بعد ان أجال بصره حولهم لحظات.

انا اهتم بكل من الادب والشؤون العسكرية. اود ان اختبر كليهما على حد سواء، دون الاستخفاف باى منهما. وأخطط لان أعرف كل الاشياء التى يجب معرفتها فيهما، لا ان اعرفها الى حد معين، واتبحر فيها فى اعمق اعماقها، بتجاوز ذلك الحد. ...

هكذا، اعرب كيم جونغ ايل عن إرادته، قائلا انه ليس ثمة الآن في

بلادنا شيء اهم من الشؤون العسكرية. يجب على السياسى ان يتحلى بالادب والشؤون العسكرية على حد سواء. والمعنى الحقيقى لهذا الكلام هو ان على السياسى ان يعرف الشؤون العسكرية. في الظروف الحالية التى يواصل فيها الامبرياليون زيادة قواتهم المسلحة لطمس البلدان الاشتراكية، ومحاولتهم لاشعال نيران الحرب، إن اتيحت لهم الفرصة، فلا مفر للسياسى ان يتحلى بالادب والشؤون العسكرية على حد سواء، ولاسيما في هذا اليوم الذى تتطور فيه العلوم والتكنولوجيا العسكرية بأقصى سرعتها، فينبغى عليه ان يعرف الشؤون العسكرية بعمق، ويتضلع فيها تماما.

رانت عليهم مشاعر السمو. اذ انه يفكر في مسألة كونه اديبا او عسكريا، بارتباطه المباشر بمسألة مصير البلاد والامة في القادم من الايام، لا مجرد مصير فرد من الافراد.

وصرح كيم جونغ ايل بأن السياسى الجاهل للشؤون العسكرية ليس سياسيا حقيقيا، وان سمعة السياسى الحديث ودوره ومؤهلاته تجد تعبيرا عنها في ذكائه العسكرى الفائق وجرأته، وفنه البارز لقيادة الجيش، واضاف بلهجة تبعث على الانفعال.

انى أدعو الى اولوية الشؤون العسكرية. لا اخفي حقيقة اننى اولي اهمية للسلاح اولا وقبل غيره، وأضعه دائما في المقام الاول.

لنرفع علمنا الاحمر عاليا

كان يوم العشرين من حزيران عام ١٩٦٤، صافيا ومنعشا بما يندر له مثيل.

وبعد ان سهر القائد كيم جونغ ايل في المكتب ليلة اليوم الاول لبدء عمله في لجنة الحزب المركزية، تمشى في جنينة مقر الحزب مع الكوادر في الصباح الباكر. وتوقف عن خطاه بغتة، وظل ينظر الى العلم الاحمر

للحزب، والذى يرفرف فوق مقر اللجنة المركزية للحزب.

قال كيم جونغ ايل، ونظرته مثبتة على العلم الذى يرفرف خفاقا برياح الصباح:

"ان علم الحزب الذى يرفرف في عنان السماء فوق مقر اللجنة المركزية للحزب هو علم النصر والمجد، وعلم الثورة، الذى اجتاز تلال المحن القاسية، شاقا بحار النيران. تاريخ علم حزبنا بدأ منذ شكل الزعيم اتحاد اسقاط الامبريالية، ورفع العلم الاحمر للثورة. ومنذ ذلك الحين ايضا، راحت جذور حزبنا الراسخة تتجذر."

ظل كيم جونغ ايل ينظر الى العلم الذى يخفق بصورة أشد، لحظات طويلة واستأنف يقول:

"آن الاوان لنا الآن، لنرفع ذلك العلم الاحمر عاليا. مهما تكن قسوة المصاعب والمحن التى تقف فى وجه ثورتنا، علينا ان نمضى بصمود اكبر فى النضال من اجل تحقيق قضية الزعيم، رافعين العلم الاحمر للثورة عاليا."

وداعا لعام دموع الدم

كانت الساعات الاخيرة من يوم الواحد والثلاثين من كانون الاول عام ١٩٩٤، تنساب وسط الآلام التى لا توصف، والدموع الدامية غير المنقطعة، لرحيل الرئيس كيم ايل سونغ.

وفي اجواء السكون المهيب، كان القائد كيم جونغ ايل يتبادل الحديث في سره، مع الرئيس كيم ايل سونغ، الذى لشد ما يشتاق اليه، ومع ابناء الشعب الاحباء.

وبعد لحظات، قال لكبار كوادر الحزب والدولة:

"اننا نودع هذا العام، يغمرنا الحزن لفقدان الزعيم العظيم.

لقد بذل زعيمنا العظيم كل الجهود وتحمل كل المتاعب طوال حياته من اجل حرية شعبنا وسعادته، وفي سبيل ازدهار الوطن وتقويته وتطويره."

ولم يواصل كلامه اكثر، لتدفق مشاعر الأسف والحزن لوفاة الرئيس. طأطأ الكوادر برؤوسهم، وشهقات النحيب تسمع هنا وهناك.

وبعد لحظات، مضى في حديثه وهو يحسم امره.

ان زيادة بلدنا ووطننا غنى ومنعة هى غايات الزعيم وقضيته. فيجب علينا ان نعمل على زيادة بلدنا ووطننا غنى ومنعة، وفاء لغاياته وقضيته.

كانت كلماته هذه قسما يؤديه امام جثمان الرئيس، واعلانا للايمان الراسخ والارادة الثابتة.

مضى الوقت ثانية بعد أخرى.

كان ابناء الشعب في البلاد كلها ينتظرون بلهفة، الخطاب الذى يلقيه بمناسبة حلول رأس السنة الجديدة، وحتى الاعداء روجوا شتى الاستنتاجات والتكهنات، مدعين بانه سيلقى في اليوم الاول من العام الجديد خطابا يتاح لهم ان يعرفوا من خلاله ارادة كوريا ومسار تقدمها.

وفي ظل هذه الاجواء، جلس كيم جونغ ايل امام الطاولة في مكتبه. كانت على الطاولة ورقة بيضاء، وساد اركان الغرفة سكون مهيب. ...

وبعد ان استغرق في التفكير لحظات، بدأ يكتب رسالة سيتوجه بها الى ابناء الشعب جميعا:

اننا نستقبل العام الجديد، بعد ان ودعنا عام ١٩٩٤ بدموع من دم.

فلنعمل بنشاط، متحدين بقلب واحد وارادة واحدة، من اجل ازدهار بلادنا ووطننا وزيادة منعتهما، متمسكين بالموقف اللائق بجنود الزعيم العظيم وتلاميذه.

١ كانون الثانى ١٩٩٥

كيم جونغ ايل

خارج النافذة، كانت سماء الليل ماتزال متلألئة بالنجوم. ولكن فجر التاريخ العظيم كان يتوهج بمهابة في كوريا.

الرئيس الابدى

في يوم الخامس من ايلول عام ١٩٩٨، استرعت وكالات الانباء والاذاعات في مختلف بلدان العالم، انتباها في آن واحد لاذاعة بيونغ يانغ. اذ ستنعقد، بعد عدة دقائق، الدورة الاولى لمجلس الشعب الاعلى العاشر لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، حيث يجرى انتخاب الهيئة القيادية الجديدة للدولة في كوريا، ولاسيما انتخاب رئيس جديد للجمهورية، الذى لطالما انتظره العالم كله باهتمام كبير.

لم يشك احد في ان القائد كيم جونغ ايل، سيتم انتخابه رئيسا للجمهورية. كانت هنا بعض وكالات الانباء الاجنبية التى قد اعدت حتى المقالات الاخبارية، توقعا لكوريا التى ستنفجر فيها هتافات الفرح، معتقدة ان ذلك امر واقعى ثابت.

ولكن النبأ الآخر انتشر، مخالفا لكل هذه التكهنات.

- تم رفع الزعيم العظيم الرفيق كيم ايل سونغ رئيسا ابديا للجمهورية!

آنذاك، ارتاب كثير من الناس في العالم في عيونهم وآذانهم. اذ انه من المعتاد عامة ان يتم انتخاب رئيس جديد للدولة في نفس اليوم لوفاة الرئيس السلف، او في ظرف عدة ايام على الاكثر. ورغم ذلك كله، لم يجر انتخابه في كوريا حتى بعد مرور اربع سنوات كاملة. حين يحرص القائد كيم جونغ ايل على اعلان كيم ايل سونغ رئيسا ابديا، حتى في تلك الفعاليات الانتخابية التى تم تأجيلها لمدة طويلة، فما هى غاياته التى ترسخت في فكره؟

لقد صرح كيم جونغ ايل في تموز عام ١٩٩٤، الغارق بدموع الدم، عند اجراء المراسم التأبينية للرئيس بما يلى:

"رغم رحيل الرئيس كيم ايل سونغ، الذى اسهم اسهاما خاصا في خدمة وطننا وشعبنا، والعالم والبشرية، وكان يحظى بأعظم احترام واجلال، فان ارادتى الثابتة هى رفعه الى اعلى المراتب كرئيس اول وابدى وحيد في تاريخ بلادنا."

واضاف انه لمن واجبنا ان نسجل اسمه الكريم، والعزيز على كل الشعوب، الرئيس كيم ايل سونغ، خالدا في صفحات تاريخ وطننا، ونجعل افراد الجيل الصاعد ايضا يمجدون الرئيس كيم ايل سونغ وحده بافتخار، عندما يفكرون في رئيس الدولة. واعتبارا من هذا الموقف، اعتزم رفع الزعيم العظيم الرفيق كيم ايل سونغ عاليا الى ابد الآبدين، بما لا يختلف عن فترة حياته، وتمجيد الرئيس كيم ايل سونغ وحده كرئيس لدولتنا، خالدا في تاريخها.

في ذلك اليوم، حرص القائد كيم جونغ ايل على احلال الخطاب السياسى المسجل الذى القاه الرئيس كيم ايل سونغ في الدورة الاولى لمجلس الشعب الاعلى التاسع، محل خطابه السياسى.

"اله الحرب"

حدث ذلك، حين تفقد القائد كيم جونغ ايل محطة آنبيون الكهربائية الشبابية، في احد الايام من اواخر التسعينات من القرن الماضى.

عندما سعى القائد للدخول الى نفق قنوات المياه الذى هو قيد البناء، مانعه الكوادر بعناد قائلين:

"النفق خطير في داخله، ايها القائد الاعلى! كما انه مملوء بالمياه."

ولكنه استقل السيارة، قائلا انه يجب عليه ان يدخل النفق حتما ولو بسيارته، اذا كان النفق مغمورا بالمياه.

اخضلت مقلتا عينيه بالندى، فيما هو يتفرس في انحاء النفق على ضوء مصباح السيارة.

ربما ان القصص عن مآثر البناة الجنود التى سمعها قبل قليل، تبادرت الى ذهنه... اولئك الجنود الذين هتفوا بانهم لا يرون سماء الوطن الزرقاء قبل اختراق النفق، رغم انه يصعب عليهم خلع البياضات والاحذية، لانتفاخ اجسادهم عند عملهم بالمطرقة ودفع العربات طوال النهار في المياه المرتفعة الى خاصرتهم، وال٢٧ جنديا الذين طالبوا بارسال الهواء المضغوط من خلال المواسير، بدلا من الارز المطبوخ، بعد وقوعهم محبوسين في داخل النفق المنهار، والجندى صغير السن الذى اصبح على شفا الموت من جراء الحادث المفاجئ في اثناء عمله، ولكنه انشد "اغنية العلم الاحمر"، قائلا انه يغنى، بدلا من عجزه عن العمل، حتى الهم الجنود قوة، واوصى في اللحظة الاخيرة من حياته باكمال بناء المحطة الكهربائية، في اسرع وقت لاستقبال القائد الاعلى المحترم فيها حتما...

نزل القائد كيم جونغ ايل حتى في اعماق النفق، واثنى على رجال الجيش مرارا، قائلا انهم تجشموا عناء كبيرا حقا. واردف يقول بلهجة متأثرة ان رجال جيشنا قد خلقوا معجزة عظيمة. انهم ينفذون اوامرى حتما، مذللين كل المشقات والمصاعب. وهذه هى روح جيشنا الثورية بالذات.

وبخصوص قدرة روح الجيش الثورية، اعلن كيم جونغ ايل ما يلى:

"قال ستالين ان المدفع هو (اله الحرب)، الا اننى ادعو الى ان روح الجنود هى (اله الحرب).

يمكن القول ان الاقوياء معنويا هم اعظم اقوياء الكون الذين لا يمكن حسابهم باى شىء. ..."

الشجرة العملاقة والجذور

حدث ذلك في احد الايام من شباط عام ٢٠٠٩، حين شق عنان السماء دوى المدافع التى اطلق نيرانها سلاح المدفعية للجيش الشعبى الكورى.

وفيما كان الكوادر يسمعون هذه الاصوات التى تقنعهم بالانتصار في الحملة الجبارة لبناء الدولة القوية والمزدهرة، لم يتمالكوا أنفسهم من الانفعال والتأثر، فاعربوا للقائد كيم جونغ ايل عن عزيمتهم على ان يكونوا اوراقا خضراء للشجرة العملاقة، دعما لقيادته في النضال التاريخى الحالى.

فابتسم القائد لهم، واستغرق في لجة التفكير لحظات، قائلا ان الجذور تنطوى على معنى اكبر من الاوراق. ومضى في القول:

يجب على كوادرنا ان يكونوا جذورا تدعم الوطن والثورة، مثلهم مثل جذور الشجرة. ...

وواصل الحديث وهو يمشى ببطء.

بغية نمو الشجرة نشيطة، يجب ان تكون جذورها قوية. لا تنمو الشجرة عملاقة صلبة، الا عندما تكون جذورها قوية. تموت الشجرة ذابلة، مهما كانت باسقة، اذا فسدت جذورها. اذا كانت الشجرة العملاقة قائمة بشموخ بأغصان واوراق وارفة، فان السبب في ذلك يعود الى جذورها القوية التى تمدها بالقيمة الغذائية باطراد. تتراءى الشجرة العملاقة للعيون، بخلاف جذورها. نجد اشخاصا يتعجبون بالشجرة العملاقة الواسعة الجذوع كالاذرع، لكننا لا نجد الذين يفكرون في الجذور الداعمة لهذه الشجرة، الى حد يستحق الذكر. تعمل الجذور بلا توقف تحت الارض، من اجل الشجرة العملاقة، غير عابئة بتقدير احد. فيمكن القول

ان العلاقة ما بين الثورة والثوريين اشبه بالعلاقة ما بين الشجرة العملاقة والجذور. ...

مس كلامه هذا شغاف افئدة الكوادر. وقال القائد:

"اذا كان لا بد للشجرة العملاقة المسماة بالثورة ان تتقدم ظافرة دون زعزعة امام اية عواصف عاتية، فينبغى ان يكون الثوريون، كونهم جذورا لها، سليمين واوفياء. لنكن جذورا للثورة. هذه هى النظرة الى حياة الانسان، التى يجب على ثوريينا ان يتحلوا بها اليوم."

واستمرت تعليماته ذات المغزى العميق:

يجب على الثوريين ان يفكروا في ان يكونوا جذورا. تتساقط الاوراق بفعل الرياح الممزوجة بالمطر والرياح الباردة، ولكن الجذور تبقى صلبة حتى في الارض المتجمدة. مثلما تنمو الشجرة جيدا، اذا امتصت الجذور الممتدة في اعماق الارض، المواد المغذية كما ينبغى، كذلك الثورة ستتكلل بالنصر حتما، وسيزدهر الوطن الى ابد الآبدين، اذا استعد الثوريون استعدادا تاما واتحدوا بقلب واحد. لا يجوز لكم ان تفكروا في كونكم اوراقا، بل عليكم ان تفكروا في كونكم جذورا. ...

رد عليه الكوادر بالاجماع:

"ايها القائد العظيم، سنكون جميعا جذورا تدعم الشجرة العملاقة، لا اوراقا لها."

قال القائد مبتسما ابتسامة عريضة:

"أود ان أكون جذورا قوية لثورتنا، مثلكم."

٨) الجرأة

قبضة اليد القويـة

حـدث ذلـك اثـنـاء درس الرسـم، فـي احـد الايـام مـن تـشرين الاول عـام ١٩٥٤.

قـال المعلـم للتلاميذ انهم سيرسمون قبضـة اليد في هذا الدرس. وبعد ان لصق مـا رسـم منـها علـى السبورة، حـرص على ان يرسم التلاميذ قبضات ايديهم، استفادة منه.

راح كل من التلاميذ يرسمها، فالبعض رسموها بالنظر الى رسم المعلم مرارا، والبعض الآخر رسموها بعد وضع قبضتهم اليسرى على الطاولة. لقد كانوا مختلفين في طريقة الرسم واسلوبه، ولكنهم كانوا جميعا يرسمون قبضاتهم اليسرى.

وخلافـا لهـم، كـان كـيم جونـغ ايـل الـصغير يرسـم قبـضة يـده اليمنـى القوية، يلف بابهامها السبابة والوسطى بشدة. وفيما لم يكمل الآخرون بعد حتى رسم أطر الأكف، كان كيم جونغ ايل يعالج النور والظل في رسمه.

وحينذاك، دهش احد التلاميذ لرسمه هذا، وهو يشاهده عند عودته الى المقعد بعد ذهابه الى السبورة ليتفرس في رسم المعلم. كما ذهل التلميذ الذى يجلس وراء كيم جونغ ايل، بعد القاء نظرة الى رسمه. فقال كيم جونغ ايل:

طلب منـا المعلم ان نرسم قبضات ايدينا. لكل شخص قبضتا اليد اليمنى واليسرى. ان القبضة اليمنى هى الاقوى من اليسرى. ...

ومع انتهاء الدرس، تسلم المعلم رسمه مع رسوم الآخرين، وحرص على ان يجلس التلاميذ على مقاعدهم على غير العادة، وقال انه سيقدم لهم رسما مميزا، اى رسم كيم جونغ ايل الذى كتب عليه بخطه الكريم حتى عنوان "قبضة اليد القوية".

كان رسمه من قبضة اليد المحكمة بشدة، يبدو وكأنه يكسر حتى الصخرة، اذا ضربها ضربة واحدة، كما جاء في عنوانه.

تعالت اصوات التعجب بين التلاميذ.

هكذا، تحلى كيم جونغ ايل منذ طفولته بالروح الخارقة والجرأة منقطعة النظير لسحق الغزاة الامبرياليين بضربة واحدة.

لا يمكن ارجاع سفينة "بويبلو"

في يوم الثالث والعشرين من كانون الثانى عام ١٩٦٨، تم اسر سفينة التجسس المسلحة الامريكية "بويبلو" من قبل القوات البحرية للجيش الشعبى الكورى، بعد توغلها في مياه كوريا الاقليمية. لم يسبق في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ان تم اسر سفينة لها. عبأت الولايات المتحدة الامريكية قواتها المسلحة الضخمة، بما فيها حاملات الطائرات النووية، مهددة حتى بإشعال نيران الحرب، ما لم ترجع كوريا سفينتها.

في ذلك الحين، كلف الرئيس كيم ايل سونغ، للقائد كيم جونغ ايل، باتخاذ القرار حول كيفية معالجة الأمر، انطلاقا من موقف القائد الاعلى.

قال القائد كيم جونغ ايل بنبرة حازمة انه لن يطلق البتة سراح طواقم السفينة، قبل ان يقدم الامبرياليون الامريكيون نص الاستسلام لنا، وحتى لو قدموه، لن يرجع السفينة لانها غنيمة لنا.

وسارت الامور كما اعلنها القائد كيم جونغ ايل. وخمدت همة الولايات

المتحدة الامريكية امام الارادة الحازمة واجراءات رد الفعل العسكرية القوية التى اعلنت كوريا "رد الصاع صاعين على (الانتقام)، وعلى الحرب الشاملة"، فاضطر الامريكيون الى توقيع وثيقة للاعتراف بجرائمهم واعتذارهم عنها والتعهد بعدم تكرار مثل تلك الحادثة. وبموجب ذلك، اطلق سراح بحارة السفينة مطرودين من اراضى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، بينما بقيت السفينة فيها كغنيمة للجيش الشعبى الكورى.

فلنكرم الجنود البواسل

قبل ظهر يوم الثامن عشر من آب عام ١٩٧٦، فوجئ ان جاء اكثر من عشرة عسكريين، بما فيهم ضابط حراسة امريكى، بشاحنة كبيرة وسيارة جيب في منطقة الحراسة المشتركة في بانمونزوم، وراحوا يقطعون شجرة حور في منطقة الطرف الشمالى.

حذرهم رجال حراسة الجيش الشعبى الكورى الذين كانوا في نوبة الدورية، قائلين انه لا يجوز قطع هذه الشجرة دون مشاورة مسبقة مع طرفنا، لأنها تابعة لنا. ومع ذلك، انهال عليهم الاعداء بالعنف الجماعى، ملوحين بالفؤوس، مثل اللص الذى يرفع يده ليضرب صاحب الدار، في آن واحد مع مضاعفة افرادهم بكثير.

استاء الجنود الاربعة من الجيش الشعبى الكورى من الامر، فتعاركوا مع اكثر من اربعين جنديا معاديا، وهم ينتزعون منهم الفؤوس ويقذفون بها. وفي مجرى ذلك، لقى اثنان من ضباط الاعداء حتفهما، واصيب العديد منهم، بينما ولى اليانكيون ادبارهم مذهولين. على هذا النحو، انفجرت حادثة بانمونزوم التى اقامت الدنيا واقعدتها في ذلك الحين.

سرعان ما جلب الامبرياليون الامريكيون، الذين كانوا ينتظرون

انفجار الحادثة، مئات الجنود من قواتهم المسلحة وكثير من الاسلحة الثقيلة التى وضعوها للتأهب، الى منطقة الحراسة المشتركة من جهة، وعززوا من جهة اخرى، القوات المسلحة من اراضى الولايات المتحدة واوكيناوا اليابانية، وارسلوها الى جنوبى كوريا، ونشروا "اسطول الضرب المتنقل"، مثل حاملة الطائرات "ميدواى"، في المياه الاقليمية الكورية.

وبعد ان استمع القائد كيم جونغ ايل من احد الكوادر المسؤولين للجيش الشعبى، لتفاصيل معركة رجال الحراسة في بانمونزوم هذا اليوم، سأله عن خطة تكريمهم، قائلا ان جنودنا قد ابلوا بلاء حسنا في الاشتباك.

أجابه الكادر:

"لم نفكر في تكريمهم، لشدة توتر الوضع. ... لقد نشأ وضع خطير لاندلاع حرب فورا، من جراء حادثة بانمونزوم."

لم يخف الكادر هواجسه.

ولكن القائد كيم جونغ ايل ضحك مقهقها قائلا: وهل يمكن لجنودنا ان يتركوا اولئك الذين انقضوا عليهم بغية قتلهم؟! لقد تصرفوا تصرفا مستحقا من اجل الدفاع عن النفس. وسلوكهم البطولى جدير بالفخر والثناء. كيف يمكن للجنود ان ينتصروا على الاعداء، مالم تكن لديهم مثل تلك العزيمة. انه لأمر طيب ان يقاتل جنودنا دون وجل في اى وضع كان، تحدوهم الارادة والجرأة الموثوق بها لسحق اى عدو ينقض عليهم، بضربة واحدة. بماذا نضن من اجلهم، طالما انهم ناضلوا ببسالة. سنكرمهم عاليا، مادمنا عازمين على التكريم.

وعلى هذا النحو، وبينما كان الاعداء فى وضع الانطلاق، مستعدين تماما للقتال وعلى رؤوسهم الخوذ، في الشطر الجنوبى من خط الفصل العسكرى، شهدت بيونغ يانغ منظرا مدهشا لتشرف رجال الجيش في البدلات الرسمية بالتكريم الرفيع للدولة، وسط التصفيقات الحارة للجميع، ونزولهم من منصة الرئاسة.

الحرب والموسيقى

ان الوضع الخطير السائد في شبه الجزيرة الكورية من جراء حادثة بانمونزوم التى أججها الامبرياليون الامريكيون في آب عام ١٩٧٦، قد وتر اعصاب احد الكوادر الدبلوماسيين خلال مشاركته في مؤتمر القمة الخامس لدول عدم الانحياز، المنعقد في كولومبو، عاصمة سرى لانكا.

ما ان عاد ذلك الكادر مسرعا بعد تلك الحادثة بعدة ايام، وحط رحاله حتى هرع الى القائد كيم جونغ ايل. ولكنه لم يصدق عينيه لحظة، اذ وجد كيم جونغ ايل يستمع الى الموسيقى.

يا له من تناقض كبير بين الحرب والموسيقى! ...

قال له كيم جونغ ايل، وهو يخفض صوت الموسيقى، انه قد تجشم عناء كبيرا بسبب الرحلة البعيدة، وعليه ان لا يبقى واقفا، بل يقترب منه ويستمع الى الموسيقى.

بعد ان انتظر الكادر انتهاء الموسيقى، قال له:

"ايها القائد العزيز، لقد سمعت في كولومبو النبأ المفصل عن حادثة بانمونزوم. بصراحة القول اننى كنت مهموما دائما بسبب الوضع المتوتر الشبيه بالحرب، وانا اعود الى الوطن."

قال له كيم جونغ ايل، بعد استماعه الى مشاعره الصريحة.

"لقد نشأ في بلادنا الآن الوضع المتوتر لنشوب الحرب في اية لحظة، من جراء حادثة بانمونزوم التى اثارها الاعداء. بعد ان اختلق الاوغاد الامريكيون حادثة بانمونزوم، يسعون بجنون لإشعال نيران العدوان على بلادنا بتلك الحجة."

(ولكن، أراه يستمع الى الموسيقى؟!)

بدأ كيم جونغ ايل يتحدث ببطئ وكأنه يريد تفسير دهشة الكادر.

الاوغاد الامريكيون يجعجعون بصوت عال، ولكنهم يتجنبون الاشتباك معنا في الواقع. ان الذين يصرخون حول حادثة بانمونزوم ليسوا ابناء شعبنا، بل الاوغاد الامريكيين. ارى ان جنونهم ليس الا ضربا من الخلل العقلي المنطلق من المفارقة التاريخية. ان جنونهم ليس سوى تخبطهم الرخيص. لن يمس الامريكيون حتى شعرة واحدة من شعر رؤوس ابناء شعبنا. ...

فيما كان الكادر يصغى الى كلامه المفعم بروح القائد اللامع ووقاره، شعر بتدفق العزيمة والجرأة تملآن صدره.

(آه، ان تلك الجرأة الجبارة للرجل العظيم الذى لا يرى في ضجة الامريكيين لاشعال نيران الحرب الا تخبطهم الرخيص، قد انشدت في مكتبه هذا اغنية التفاؤل، اغنية الانتصار! ...)

السيور الناقلة الممتدة وسط البحر

كان منجم وونريول لخامات المعادن، الواقع في منطقة الساحل الغربى من كوريا، مهموما بمسألة غطاء الارض. لم يكن باستطاعته ان يستخرج خامات الحديد كما ينبغى، نظرا لهدر كثير من الايدى العاملة والوقت فى معالجة غطاء الارض من التربة والصخور، من جراء عدم وجود مكان مناسب لرفع هذا الغطاء المتراكم كالجبل على التوالى. فكان المنجم في مفترق الطرق، اما اغلاقه او استمراره.

وفي هذا الوقت بالذات، اى في مطلع عام ١٩٧٤، اطلع القائد كيم جونغ ايل على وضع المنجم، واشار الى ضرورة وضع السيور الناقلة الطويلة لمعالجة نفايات غطاء الارض. ومن جهة اخرى، حرص على بعث احد الكوادر الى المنجم ليتحرى الظروف الميدانية الملموسة لوضع السيور.

اتفق ذلك الكادر، مع كوادر المنجم، على وضع السيور، بدءا من احد مكامن الخامات وحتى شاطئ البحر. اذا تم النجاح في ذلك، ستنجرف كل النفايات الترابية الى البحر.

طار الكادر فرحا من الامر، وعمل مع التقنيين في المنجم، على انضاج الخطة المفصلة للعملية. لكن العمل لم يسر بسهولة. حين تعمقوا في البحث تدريجيا، وتوخوا الدقة في ظروف المشروع واحدا فواحدا، اتضح لهم ان كميات المشروع تفوق الطاقة الى حد كبير. وحتى اذا ارادوا وضع حد للسيور في المنتصف، دون مدها الى شاطئ البحر، فلن يجدوا مكانا مناسبا لذلك.

ما العمل؟

سقط بيد الكادر، وحار بالامر، فذهب الى القائد كيم جونغ ايل.

"ايها القائد العزيز، ... يبدو لى ان المشروع سيكون صعبا."

هكذا، قال الكادر، بعد ان دخل مكتب القائد، ما يدور في قرارة نفسه، اثر تقديمه تقريرا عن الوضع اليه.

عرف القائد كيم جونغ ايل ان الكادر غير واثق من المشروع، فانفجر ضاحكا حتى اهتزت الغرفة. وتساءل كيف يمكن تنفيذ المشروع بسهولة، طالما انه مشروع غير مسبوق، واضاف بصوت تملؤه الثقة:

"لم يستعص علينا امر، لم ننفذه حتى الآن، اذا عقدنا العزم عليه. أليس كذلك؟ أليس لدينا الحكمة والقوة الابداعية اللامتناهية للطبقة العاملة البطلة؟ فلنعمل مفعمين بالثقة. هكذا، سنبنى السيور الناقلة في منجم وونريول لخامات المعادن كابداع معمارى يكون شاهدا لعصرنا."

نهض القائد من مقعده، ودنا من خريطة كوريا الكبيرة المعلقة على الجدار. استغرق في التفكير للحظات، ونظرته مسمرة في احدى النقاط على الساحل الغربى، وسأله بهدوء:

"لقد قلت لى وضع السيور الناقلة، بدءا من مكمن الخامات الشبابى وحتى شاطئ البحر. أليس كذلك؟"

"نعم..."

"حتى شاطئ البحر. ..."

تردد كيم جونغ ايل فى القول وكأنه آسف الى حد ما. ثم، استدار بنظرته الى الخريطة مرة اخرى، وامعن النظر في الجزر الكبيرة والصغيرة في البحر امام جون كومسان. احس الكادر بان الضوء الساطع يتألق في عينى القائد تدريجيا.

اخيرا، قال القائد بنبرة حازمة، وهو يدير جسمه:

"باعتقادى ان بامكاننا مد السيور الناقلة الى وسط البحر، وليس الى الشاطئ فقط. هيا اقترب منى."

اشار القائد كيم جونغ ايل بقوة الى الخريطة بالقلم الاحمر.

"اخطط لوضع السيور الناقلة حتى فى جزيرة نونغكوم هذه. ثم، سنربط كل هذه الجزر بعضها ببعض."

٥١٠٠ هكتار من الاراضى الجديدة! ...

خطر في بال الكادر هذا الحساب كالبرق.

قال القائد مبتسما، واحدى يديه على خاصرته:

"ما رأيك الآن؟ ألست واثقا؟

عندما نعمل على هذا النحو، يمكننا ان نسد مياه البحر ونحصل على مساحات واسعة من الاراضى ايضا. ... كم ستتغير ملامح وطننا في ذلك الحين!"

مباراة كرة القدم غير المسبوقة

حدث ذلك عند بناء هويس البحر الغربى، اكبر هويس في العالم.

في احد الايام من نيسان عام ١٩٨٣، ذهب القائد كيم جونغ ايل الى

موقع المشروع، وتلقى تقريرا عن مسألة الطرق الهندسية في بناء السد المؤقت المغمور.

كان الطريقة الاولى السابقة تتطلب سبع سنوات لبناء السد فقط، بينما تقلص الطريقة الثانية المستحدثة موعد المشروع الى حد كبير. لكن بعض الناس كانوا قلقين من ان السد قد لا يتحمل الضغوط الجبارة لمياه البحر الهائجة، اذا طبقوا الطريقة الثانية الجديدة.

بعد ان استمع القائد الى تقرير الكادر، سأله عما هى حجج الناس الذين يدعون الى الطريقة الجديدة.

فقال له الكادر:

"رغم ان الحجم صغير، لكن لديهم سابقة لتنفيذ مشروع بهذه الطريقة في الجيش الشعبى في الماضى."

"اذن، حججهم وجيهة. أليس كذلك؟"

صرح القائد كيم جونغ ايل بنبرة حازمة:

علينا ان نثق بالعلوم في كل الاحوال. لماذا نتردد، طالما اجرينا التجربة الهيدروليكية ولدينا خبرة في بناء السد المغمور بتلك الطريقة، رغم ان حجمه صغير. كما تثبت الخبرة والتجربة الهيدروليكية، فان السد المغمور لا ينهار. انا اؤيد الطريقة الجديدة. ...

تلاشت مشاعر القلق لحظة، من اولئك الكوادر الذين لم يحزموا الامر، مشككين في تلك الطريقة، رغم اثباتها علميا.

دوى صوته الجهورى في انحاء الموقع.

بعض الاشخاص الجبناء يخافون حاليا من انهيار السد، ولكننا سنجرى مباراة كرة قدم على نطاق واسع في قاع السد، اذا انتهى بناؤه.

انهى البناة الجنود بناء السد تماما، وفقا للطريقة الجديدة، في فترة وجيزة لا تزيد عن السنة منذ ذلك الحين، وأقاموا مباراة كرة قدم على ارضية قاع البحر بالامس، بعد ضخ عشرة ملايين متر مكعب من كل

مياهه، وهم يسمعون هدير الامواج فوق رؤوسهم.
اخيرا، تم بناء هويس البحر الغربى العملاق في فترة قصيرة لا تربو على خمس سنوات، بعد سد البحر الهائج على طول ثمانية كيلومترات.

الخطوط البحرية غير المصورة

في احد الايام من تشرين الثانى عام ١٩٩٦، انطلق القائد كيم جونغ ايل للتفقد الميدانى لوحدة الدفاع عن جزيرة تشو.
مضى المرافقون في الابحار وراء الزورق عالى السرعة الذى يستقله القائد. اصلا، كانت الخطوط الملاحية خطيرة بمياه البحر الهادرة، ومما زاد الطين بلة، ان امواج البحر ارتفعت ذلك اليوم بما لا يقاس، حتى ضاعف قلق الناس. ولذلك، مانعه الكوادر بشدة على الرصيف عاتى الرياح، وقالوا:
"يكون من الصعب ضمان سلامة حتى السفن الكبيرة في مثل هذا اليوم. نتوسل اليكم ان تتخلوا عن الخطة، ايها القائد!"
ورغم ذلك كله، صعد الزورق بعزم اكيد، قائلا ان على الجزيرة من ينتظروننا، ومتى كان مسيرنا يسرا على متن ريح هادئة؟! ...
امسك المراسلون المرافقون آلات التصوير والفيديو لتسجيل تلك الملاحة القاسية، في صفحات التاريخ. كانت تلك لحظة مهمة يجب عليهم ان يظهروا فيها ما شقه القائد كيم جونغ ايل من الدروب الصعبة، امام ابناء شعبنا والعالم.
ولكن امواج البحر الهادرة رفعت مقدم الزورق الى الاعلى، ورمته بلا رحمة وكأنها تظهر قوتها. فعلى متن الزورق المهتز بشدة صعودا ونزولا، كان من الصعب على المراسلين ان يحتفظوا حتى باجسادهم

معتدلة، فسقطوا واصطدموا لاصابتهم في الجباه والخواصر. وتكسرت آلات التصوير والفيديو دون استثناء.

شعر المراسلون بالأسف لهذا الامر، حتى كادوا يبكون لعدم استطاعتهم نقل صور الخطوط الملاحية القاسية فى ذلك اليوم، للعالم.

ولكن المشاهد في ذلك اليوم لم تمح لمجرد عدم تصويرها. بل انطبعت في بؤبؤ عيون الجنود على الجزيرة، وفي اعماق قلوبهم، هم الذين كانوا يصرخون بملء اصواتهم "ما كان عليكم، ايها الرفيق القائد الاعلى، ان تأتوا فى ظل هذه الحال!"، وهم يرون الزورق القادم اليهم، غارقا في الامواج حينا وصاعدا منها حينا آخر، محتشدين على شاطئ البحر في الجزيرة. واخيرا، حين وصل القائد كيم جونغ ايل الى الجزيرة بسلامة، هتفوا "عاش! عاش!" بأعلى اصواتهم، وقد اغرورقت عيونهم بالدموع.

وفيما نزل القائد من الزورق، قال بمرح كالمعتاد:

"انطباعاتى عن البحر الغربى، احسن مما يقوله الناس."

اوامر القائد الاعلى

في اوائل عام ١٩٩٣، فرضت الولايات المتحدة الامريكية "التفتيش الخاص" على التطوير النووى في كوريا، بعبارة اخرى، التفتيش القسرى للمنشآت العسكرية المعنية فيها، بتحريض الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وتزامنا مع ذلك، اعلنت الولايات المتحدة الامريكية استئناف المناورات العسكرية المشتركة "تيم سبيرت" في جنوبي كوريا، مما دفع بالوضع الى حافة الحرب مرة اخرى. كان العالم يتابع كوريا في قلق عميق وكيف سترد على هذا الوضع القاسى.

وفي ذلك الوقت، خيمت اقصى درجات التوتر على غرفة العمليات

لهيئة الاركان العامة للجيش الشعبى الكورى. وفي جوف احدى الليالى، رن جرس الهاتف فيها بغتة. رفع رئيس الاركان العامة السماعة. واذا به يستمع للقائد كيم جونغ ايل.

بعد ان اطلع القائد على حالة الاهبة القتالية لوحدات الجيش الشعبى، قال ضاحكا بصوت عال:

"لنمسك بحبل حياة الامريكيين هذه المرة ونهزه."

بكلامه هذا، تغيرت الاجواء في غرفة العمليات تغيرا ملموسا.

(لقد وضع القائد الاعلى خطة جريئة لادهاش العالم.)

واخيرا، دوت اوامر القائد الاعلى للجيش الشعبى الكورى، وهى تهز اركان المجتمع الدولى، في الساعة السابعة عشرة يوم الثامن من آذار، قبل دخول الاعداء مرحلة التحرك الفعلى للمناورات العسكرية المشتركة "تيم سبيرت ٩٣" بيوم واحد.

"... فالشعب الكورى لن يذهل حتى وإن قام الاعداء بالمناورات العسكرية المشتركة (تيم سبيرت)، بتعبئة مئات آلاف من قواتهم الضخمة واسلحة الدمار الشامل، ولن يتراجع جيشنا خوفا من الحرب.

... لا بد للاعداء ان يعرفوا جيدا انهم لن يستطيعوا المساس بشبر واحد من اراضى جمهوريتنا، ولا النيل حتى من نبتة واحدة فيها.

لمواجهة الوضع الخطير الناشئ في بلادنا من جراء مؤامرات الامبرياليين الامريكيين والطغمة العميلة في جنوبى كوريا، لاشعال نيران حرب جديدة، اصدر اوامرى، كاجراء دفاعى ذاتى لصون امن جمهوريتنا وشعبنا بما يلى:

١- يجب انتقال البلاد والشعب والجيش بالكامل الى حالة شبه الحرب، بدءا من التاسع من آذار عام ١٩٩٣.

٢- على جميع الجنود في وحدات القوات البرية والبحرية والجوية في الجيش الشعبى الكورى، وقوات الحراسة الشعبية الكورية، والحرس

العمالى والفلاحى الاحمر، والحرس الشبابى الاحمر، ان يرصدوا كل تحركات العدو بنظرة ثاقبة، تحدوهم اليقظة الثورية العالية، ويكونوا على اهبة تامة للانخراط في القتال، حتى يتمكنوا من سحق الاعداء بضربة واحدة، اذا ما اعتدوا علينا.

٣- على ابناء الشعب كلهم ان يتسلحوا جيدا بنظرة حزبنا المستقلة الى الحرب، ويحدثوا نهضة كبرى في بناء الاقتصاد الاشتراكى، حاملين المطرقة والمنجل بيد، والبندقية باليد الاخرى."

وأمام جرأته هذه، ورده عليهم بموقف تشدد أعلى، دون الرضوخ امام اى عدو عات، سقط بأيدى الاعداء وظلوا واجمين. وفى ظل تلك الصدمة، انهى الاعداء المناورات العسكرية المشتركة "تيم سبيرت ٩٣"، مسرعين، قبل الموعد المحدد بكثير، وولوا الادبار الى ديارهم.

لا نتفوه بكلام فارغ

في اوائل كانون الثانى من عام ٢٠٠٣، عقدت الوكالة الدولية للطاقة الذرية دورة اخرى من الاجتماع الاستثنائى لمجلس محافظيها، بتحريض من الولايات المتحدة، واتخذت فيها "قرارا" يدعو كوريا لتنفيذ اتفاقية الضمان والغاء "برنامجها النووى" على عجل بالطريقة القابلة للفحص، واعادة تجميد المنشآت النووية التى انحل تجميدها، والسماح باقامة المفتشين الدائمة، متذرعة بان كوريا خالفت معاهدة حظر الانتشار النووى واتفاقية الضمان. وأعلن المدير العام للوكالة حتى "الانذار النهائى" الذى ينص على انه اذا لم تنفذ كوريا "القرار" في غضون عدة اسابيع، سيتم احالة القضية الى مجلس الامن الدولى لفرض العقوبات عليها. جاء ذلك في اطار الاستراتيجية الامريكية لعزل كوريا وخنقها، عن طريق تدويل "المسألة النووية" الكورية.

اذن، كيف سترد كوريا على هذه "الضغوط الدولية"، يا ترى؟!

واخيرا، تعالى البيان الحكومى لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية.

"... اولا، في ضوء تخلى الولايات المتحدة الامريكية من طرف واحد، عن التزاماتها المتعهدة بايقاف التهديد النووى والغاء النية العدائية، بموجب البيان الكورى الامريكى المشترك، المؤرخ بيوم الحادى عشر من حزيران عام ١٩٩٣، تعلن حكومة الجمهورية ان مفعول انسحابها من معاهدة حظر الانتشار النووى، الذى (احجمت عنه مؤقتا من طرف واحد الى مدة تعتبرها ضرورية)، بموجب نفس البيان المذكور، نافذ المفعول على الفور من تلقاء ذاته.

ثانيا، تعلن جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية انها تتحرر تماما من قيود اتفاقية الضمان مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، الواردة فى المادة ٣ لمعاهدة حظر الانتشار النووى، تماشيا مع انسحابها من تلك المعاهدة. ..."

وعلى اثر هذا الاعلان، غطت الفضاء اصوات الصراخ والعويل، وكذلك اصوات التعجب والتضامن لجرأة كوريا التى ترد بجدارة على موقف العدو المتشدد بتشدد أعلى.

في يوم الحادى عشر من كانون الثانى، اليوم التالى، تحدث القائد كيم جونغ ايل للكوادر عن معلومات الانباء التى تنشر ردود الفعل لمختلف بلدان العالم بشأن البيان الحكومى للجمهورية، وهو يرفعها بيده.

"باعلاننا للانسحاب من معاهدة حظر الانتشار النووى، اظهرنا بجلاء للولايات المتحدة والقوى الدائرة في فلكها، أنه لم يكن كلاما أجوف على الاطلاق، انذارنا باننا لن نغفر ابدا لكل من يمس بسيادة جمهوريتنا وكرامتها."

حرص القائد كيم جونغ ايل على تسديد ضربة قوية اخرى للاعداء. صدر بيان المتحدث باسم وزارة خارجية الجمهورية هذه المرة، عشية عقد اجتماع مجلس الامن الدولى.

"... نصرح علنا انه اذا اسيء استخدام مجلس الامن الدولى تبعا للسياسة الامريكية المعادية لكوريا وخنقها، في نهاية المطاف، فلا مفر لنا من ان نتزود بقوة الردع الحربى، بتعبئة كل القدرات الكامنة في البلاد."

لم يكن هناك من لا يعرف المعنى الجدى لعبارة "قوة الردع الحربى". في نهاية المطاف، اسدل اجتماع مجلس الامن الدولى ستاره باجازة دعوة الدول الاعضاء فيه الى ان "المسألة النووية" الكورية لن تجد حلولا لها الى الابد، اذا صدر مشروع القرار لفرض العقوبات على كوريا، او البيان الرئاسى له، وان انجع وسيلة هى اجراء الحوار المباشر بين كوريا والولايات المتحدة الامريكية.

اطلاق "كوانغميونغسونغ رقم ٢" !

حين كانت كوريا، التى انضمت الى مصاف الدول الكونية القوية، نتيجة لوضع القمر الصناعى "كوانغميونغسونغ رقم ١" فى مداره الصحيح دفعة واحدة في شهر آب عام ١٩٩٨، تخطط لاطلاق القمر الآخر "رقم ٢" في نيسان عام ٢٠٠٩، اعلنت اليابان ان التصدى له، هو سياسة رسمية لها.

وفي هذا الوقت، دوى الاعلان المهيب في بيونغ يانغ بما يلى:

١- اذا فقدت اليابان رشدها، وارتكبت فظائع (الضربة المضادة) لقمرنا الصناعى السلمى، سيوجه جيشنا الشعبى دون اى رحمة ولا شفقة، وابلا من نيران الانتقام الحازم حتى على اهدافها الهامة، فضلا عن وسائل هجومها المضادة المنتشرة فعلا.

٢- لا بد للولايات المتحدة الامريكية من ان تسحب قواتها المسلحة المنتشرة دون ادنى تأخير، اذا ارادت عدم تعرضها للاضرار والخسائر،

طالما انها قد اوضحت موقفها من اطلاقنا للقمر الصناعى السلمى.

٣- لا بد لمهووسى الحرب العملاء في جنوبي كوريا، من ان يكفوا عن وضع عثرة امام اطلاقنا للقمر الصناعى، مفخرة امتنا، متملقين لاسيادهم الامريكيين واليابانيين.

تقف قواتنا المسلحة الثورية على اقصى تأهب قتالى، لمواجهة الوضع الخطير السائد، وستسدد ضربات انتقام عادلة دون ادنى ابطاء، اذا ابدت القوى المعادية حتى اى تحرك (لضربة مضادة) لقمرنا الصناعى السلمى. ...

واخيرا، طار من الارض الصاروخ الناقل "وونها – ٢"، الذى يحمل القمر الصناعى الكورى "كوانغميونغسونغ رقم ٢" نحو الفضاء، وهو ينفث وراءه عمودا جبارا من النيران. وتلألأ علم الجمهورية على بدن الصاروخ، مشعا بنور باهر.

ان اليابان التى كانت تدعى بضربته المضادة، ولت ادبارها خلسة.

تم اطلاقه في يوم الخامس من نيسان، في الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة، من الموقع الساحلى الشرقى لاطلاق القمر، في منطقة شمال شرقى كوريا، ودخل القمر الى مداره بعد تسع دقائق وثانيتين من الاطلاق.

شاهد القائد كيم جونغ ايل كل عملية اطلاق القمر، وهو في محطة القيادة العامة للتحكم فى القمر الصناعى، واعرب عن رضاه الكبير قائلا:

نجحنا اليوم في اطلاق القمر الصناعى "كوانغميونغسونغ رقم ٢". عندما اعلنا اننا سنطلق القمر الصناعى التجريبى السلمى للاتصالات "كوانغميونغسونغ رقم ٢"، اثار الامبرياليون الامريكيون والقوى التابعة لهم، ضجة صاخبة وكأن خطبا مروعا قد حدث، قائلة انها ستضربه "ضربة مضادة" وستفرض "العقوبات" علينا، اذا اطلقناه. وخاصة، اعلن الرجعيون اليابانيون "الضربة المضادة" لقمرنا الصناعى، بانها سياسة رسمية لبلادهم. اذا حاول الاعداء "ضربتهم المضادة" لقمرنا الصناعى، حين نطلقه، فلن نترك حتى اهدافهم الهامة وشأنها، فضلا عن قاعدتهم للضربة المضادة.

٩) الفتنة

زهرة كيم جونغ ايل

يوجد في العالم الكثير والكثير من الازهار التى تسترعى انظار الناس لجمالها وشذاها. وثمة منها زهرة تستقطب انتباها خاصا للناس، وهى زهرة كيم جونغ ايل. ندفتها كبيرة نادرة وتتفتح زهرتها يانعة، وبتلاتها فتانة باللون الاحمر القانى، واوراقها بالشكل القلبى خضراء، وتعطى احساسا منعشا وقويا...

قد استنبتها البستانى اليابانى، غامو مدوديرو، وهى تنضم الى فصيلة البيغونيا بلون احمر، واكثر جمالا ونادرة من بين مختلف الازهار من الفصيلة ذاتها، وتتفتح ازهارها على التوالى واحدة بعد الاخرى لمدة اكثر من ١٢٠ يوما.

اراد غامو مدوديرو ان يطلق على هذه الزهرة اسما كريما لحامى حمى السلام والعدالة، ومهندس المستقبل الجميل، ومنقذ الحياة الذى تحترمه كل الشعوب. فبعد ان اجال ببصره حول العالم وقرأ كل القصص عن الرجال العظماء، قرر تسميتها بزهرة كيم جونغ ايل.

لقد رفع رسالة الى القائد كيم جونغ ايل، قال فيها:

"... يسرنى ان ارفع الى سيادتكم زهرة البيغونيا بجذور كروية، التى ربيتها بكل صدق. اعذرونى جدا ان اطلق على نبتتى البسيطة الاسم الكريم لسيادتكم العظيم. ولكنى اقدمت على تسميتها بزهرة كيم جونغ ايل،

تعبيرا عن مشاعر تمنياتى بالصحة التامة والعمر المديد، وبالازدهار والتطور المشرق للمستقبل.

يشرفنى جدا ان تسمحوا لى بتقديم هذه النبتة لكم.

اتمنى لكم، سيادة كيم جونغ ايل المحترم، من صميم قلبى مديد العمر وموفور الصحة.

١٣ شباط ١٩٨٨

غامو مدوديرو"

وهكذا، خرجت زهرة كيم جونغ ايل الى حيز الوجود، وسرعان ما اصبحت عرضة لاعجاب الناس واستحسانهم، فور ظهورها في العالم. ففي المعرض الدولى الثانى عشر للازهار والنباتات، الذى جرى في براتيسلافا بتشيكوسلوفاكيا في ايار عام ١٩٩١، نالت هذه الزهرة الجائزة الخاصة، اعلى جائزة للمعرض، والميدالية الذهبية. كما انها نالت افضل جائزة في معرض الازهار والنباتات الذى جرى في جيلين بالصين في آب عام ١٩٩٧، وفازت بالجائزة الكبرى، اعلى جائزة، في معرض كونمنغ ٩٩ العالمى للبستنة ايضا. وفي معرض سيان ٢٠١١ العالمى للبستنة، تسلمت الجائزة الذهبية للمعرض، التى تم تحديدها بصورة خاصة.

انتشرت زهرة كيم جونغ ايل على نطاق واسع في العالم. ففي مختلف البلدان والمناطق، تم تنظيم جمعية زهرة كيم جونغ ايل، ورابطة هواة زهرة كيم جونغ ايل، وغيرهما، وتجرى في كثير من المدن معارض زهرة كيم جونغ ايل في حشود كبيرة.

يكيل كل من يرون زهرة كيم جونغ ايل المديح والثناء عليها، قائلين انهم يحسون وكأنهم يرون الشمس التى تطلع في السماء، وان الزهرة المسماة باسم الرجل العظيم، تختلف عن الأخريات حقا وفعلا.

تعجب سوكارنو

كان من المخطط ان يزور الرئيس كيم ايل سونغ حديقة بوغور للنباتات، خلال فرصة اشتراكه في الاحتفالات بالذكرى العاشرة لمؤتمر القمة الافروآسيوى الاول، المنعقد في باندونغ باندونيسيا في نيسان عام ١٩٦٥.

كانت هذه الحديقة بعيدة عن باندونغ. وحينذاك، نشأ وضع مفاجئ لتغير وقت الانطلاق عن الموعد المحدد، مما اوقع مرافقى الرئيس في ارتباك. ولكنهم تأثروا كثيرا، حين عرفوا ان تلك اجراءات اتخذها الرئيس سوكارنو مباشرة، من اجل حماية سلامة الرئيس كيم ايل سونغ.

كان هناك سبب لذلك.

في صبيحة هذا اليوم، عرف الرئيس سوكارنو، من خلال رئيس حراسته، ان "القائد الشاب" الكورى يخطط للانطلاق الى بوغور بسيارة المقدمة، ليكون كاشفا للطريق.

في اثناء فعاليات باندونغ الجارية قبل هذا اليوم، غادر "القائد الشاب"، مع بزوغ الفجر، ليطلع على تفاصيل حالة الطرق وتضاريس الارض في جوانب الطرق، واتخذ اجراءات دقيقة لضمان سلامة الرئيس كيم ايل سونغ. ومع ذلك، اراد في هذا اليوم ايضا، المغادرة الى بوغور قبل الآخرين.

تأثر سوكارنو بذلك كثيرا، فقرر ان يقود بنفسه حماية سلامة الرئيس كيم ايل سونغ، واتخذ الاجراءات المذكورة اعلاه. قال مساعدو سوكارنو انها المرة الاولى التى يقود فيها رئيسهم بنفسه الاحتفالات على هذا النحو.

في جلسة المأدبة التى اقامها الرئيس كيم ايل سونغ بانتهاء زيارته الى اندونيسيا، اعرب عن جزيل شكره للرئيس سوكارنو على اخلاصه له، وقيادته لعملية حمايته شخصيا وبيده الميكروفون اللاسلكى. آنذاك، قال له الرئيس سوكارنو بكل احترام، ملوحا بيده:

"ارى ان هذا الشكر يستحقه (القائد الشاب) في بلدكم. فما هى وظيفته الرسمية؟"

فاجابه الرئيس كيم ايل سونغ، ضاحكا بصوت عال، انه مساعده المسؤول عن حمايته الشخصية، وانه هو شخصيا ينصاع لتوجيهاته تماما.

لم يتمالك سوكارنو نفسه من الاعجاب والتأثر، وابدى غبطته ملوحا بالابهام. من المعروف ان سوكارنو هو رئيس الدولة الذى ذاع صيته في العالم لشدة كبريائه، ويربو عمره على ستين عاما. ومع ذلك كله، تعجب كثيرا بهذا "القائد الشاب"، الا وهو القائد كيم جونغ ايل، الذى كان في حدود العشرينات من عمره في ذلك الحين.

دموع دينغ ينغ تشاو

حدث ذلك، حين زار القائد كيم جونغ ايل مسكن دينغ ينغ تشاو، عقيلة شو أن لاى، ورئيسة اللجنة الوطنية للمجلس الاستشارى السياسى للشعب الصينى، في اثناء زيارته للصين في حزيران عام ١٩٨٣.

عندما قام القائد كيم جونغ ايل من مقعده، احتراما للثورية المخضرمة، قائلا انه سيقدم التحية لها، نهضت دينغ ينغ تشاو مسرعة، وطلبت اليه مرارا، ممسكة بيده، ان يتحدث جالسا على المقعد.

ومع ذلك، لم يود القائد كيم جونغ ايل ان يجلس، فنهضت دينغ ينغ

تشاو من المقعد، قائلة انها ستقف هى الاخرى. وفي هذه المرة، نصحها القائد كيم جونغ ايل بان تجلس.

قال القائد وهو يجلس على المقعد، بسبب ممانعتها المتكررة:

"عندما غادرت الى الصين، طلب مني الرئيس كيم ايل سونغ ان انقل الى الرفيقة دينغ ينغ تشاو، تحياته الحارة وتمنياته بالصحة الجيدة.

ان الرئيس كيم ايل سونغ قلق جدا على صحة الرفيقة دينغ ينغ تشاو، لانك متقدمة في السن الآن."

انهمرت الدموع الساخنة من عينيها.

في الواقع ان الرئيس كيم ايل سونغ توجه شخصيا الى المطار، حين زارت دينغ ينغ تشاو كوريا قبل اربع سنوات، واستقبلها بدفء. كما انه اقام مأدبة حافلة، ترحيبا بها، والقى كلمة فيها، وذهب معها الى هامهونغ ليحضر حفل ازاحة الستار عن تمثال شو أن لاى والنصب التذكارى له، اللذين تمت اقامتهما في مؤسسة هونغنام المتحدة للاسمدة.

آنذاك، لم تتمالك دينغ ينغ تشاو نفسها من مشاعر السرور والتأثر، بعد أن رأت مرة أخرى تمثال شو أن لاى، اقرب رفيق ثورى ورفيق سلاح لها، وقدمت للرئيس كيم ايل سونغ شكرها القلبى لعدة مرات.

قال لها القائد كيم جونغ ايل بصوت دافئ، وهى متأثرة جدا، ان الرفيق شو أن لاى هو ثورى عظيم، وانه قد ادى اعمالا كثيرة من اجل الصداقة الكورية الصينية.

قالت دينغ ينغ تشاو، وعيناها مغرورقة بالدموع.

"يسرنى غاية السرور ان يولى الرفيق كيم ايل سونغ، الزعيم العظيم للشعب الكورى والصديق العزيز للشعب الصينى، اهتماما عميقا لى، دون ان ينسى علاقات الصداقة الحميمة التى اقامها مع الرفيق شو أن لاى. لن انسى الى الابد هذه الكلمة الدافئة التى القاها الرفيق كيم جونغ ايل قبل قليل."

يا لها من مشاهد مؤثرة! لم يستطع المترجم الصينى ان ينقل كلماتها

هذه كما ينبغى، لاجهاشه بالبكاء. فاضطر المترجم الكورى في نهاية الامر الى ان ينقل كلماتها بدلا منه.

واخيرا، حان وقت الفراق.

لحقت دينغ ينغ تشاو بالقائد حتى الفناء، رغم ممانعته المتكررة، قائلة انه لا يمكنها إلا ان تصطحب اعز ضيف زار حتى مسكنها، وتودعه لأمام الباب. قالت له دينغ ينغ تشاو بلهجة ملحة، ممسكة بيده.

"انه لأكبر حدث مبارك ان جاء الرفيق كيم جونغ ايل الى مسكنى. ارجو منكم ان تزورنى مرارا في المستقبل."

ظلت واقفة في مكانها وقتا طويلا، وهى تلوح بيدها، الى ان توارت عن ناظريها سيارة القائد كيم جونغ ايل.

تعجب ياجوف

ياجوف هو وزير الدفاع السوفييتى السابق، المعروف بكونه شخصا واسع الاطلاع بحيث سمى "بالموسوعة العسكرية".

ذات مرة، حدث له ان ادهش جدا وزير الدفاع الامريكى كاروسى، اثناء محادثاته معه.

ففي مجرى المحادثات، انتقلت القصة عن الحرب الجنوبية الشمالية في الولايات المتحدة الامريكية، الى موضع حديث حلل فيه ياجوف بالتفصيل، كيف جرت تلك المعركة، وما هو الدور الذى اداه ذلك الجنرال، وما هى نقاط التفوق والضعف التكتيكية للطرفين المتحاربين. تلقى كاروسى صدمة قوية بحقيقة ان ياجوف، وزير الدفاع السوفييتى، يعرف الحرب الجنوبية الشمالية الامريكية، اكثر تفصيلا منه، هو وزير الدفاع الامريكى. فتعجب به، قائلا انه موسوعة عسكرية حقا وفعلا.

كان ياجوف يتفاخر بان يسميه الناس "بالموسوعة العسكرية"، ويعتز بذلك في قرارة نفسه.

وذات يوم من تموز عام ١٩٩٨، تشرف بان التقى القائد كيم جونغ ايل، اثناء زيارته لكوريا.

زاره القائد في مقر اقامته، وحياه بلطف.

"مرحبا بكم. كيف حال صحتك؟"

"ايها الرفيق المحترم كيم جونغ ايل، انا مشتاق لرؤيتكم حقا! انا في صحة جيدة، كما ترانى، بفضل محبة ورعاية الرفيق كيم جونغ ايل."

بعد ان التقط القائد كيم جونغ ايل صورة تذكارية معه، وعلى محياه ابتسامة عريضة كتعبير عن الرضا، توجه الى قاعة المحادثات.

تبادل القائد كيم جونغ ايل الحديث معه خمس ساعات تقريبا، وكانت معظم مضامين الحديث حول الشؤون العسكرية. طوال الوقت، شعر ياجوف بالدهشة للمعارف العسكرية الواسعة التى يمتلكها القائد. اذ انه كان على إلمام تام بكل صنوف القوات من البرية والبحرية والجوية، لا بنوع محدد من الاسلحة والقوات، وبالتكنولوجيا والمعدات الرائدة من العلوم العسكرية الحديثة، وكذلك كان متضلعا في كافة ميادين الشؤون العسكرية، بدءا من الاستراتيجيات والتكتيكات للحرب الحديثة وحتى جزئيات الطرق القتالية.

وافتتن ياجوف تماما، فاقدا رشده، بذكاء القائد كيم جونغ ايل وعبقريته العسكرية. فقال له بتأثر شديد:

"يبدو لى وكأننى تخرجت اليوم من أكاديمية عسكرية أخرى. أرفع يدى عاليا، امام الرؤيا العسكرية الواسعة للرفيق المحترم كيم جونغ ايل ومعارفه الواسعة. ان الرفيق المحترم كيم جونغ ايل هو احد اقطاب الشؤون العسكرية ايضا، فضلا عن عملاق السياسة. سأكون تلميذا لكم، ايها الرفيق المحترم كيم جونغ ايل."

صراحة كيم داى جونغ

كان حاكم الشطر الجنوبى كيم داى جونغ متأثرا جدا، وهو على طريق العودة لسيؤول بعد انتهاء لقاء القمة التاريخى بين الشمال والجنوب في بيونغ يانغ يوم الخامس عشر من حزيران عام ٢٠٠٠. اذ ان القائد كيم جونغ ايل ظل يودعه بدفء، وهما في السيارة ذاتها، كما كان الامر عند مجيئه.

في داخل السيارة، قال له كيم جونغ ايل ما يلى:

لقد اصدرنا في لقائنا الاخير الاعلان الشمالى الجنوبى التاريخى المشترك، وخطونا خطوات كبرى من اجل توحيد البلاد. لقد نجح الرئيس كيم في اداء عمل عظيم لم يتجرأ اى من الحكام المتعاقبين في جنوبي كوريا على القيام به، بعد ان اصبح اليوم حاكما هناك، من شخصية فى الحزب المعارض في الماضى، فأراك متأثرا جدا بذلك. بهذا المعنى، يمكن القول ان حياة الرئيس كيم ناجحة وموفقة تماما، بالنظر الى تاريخ حياة احد الناس ايضا. ...

قال له كيم داى جونغ:

"نعم، أرى انه لأكبر حظ في تاريخ حياتى ان التقيت هذه المرة رئيس لجنة الدفاع الوطنى كيم جونغ ايل عن قرب. وهذا يضاهى بأننى زينت نهاية حياتى بحلى فاخرة. فليس لدى الآن ما ارغب فيه اكثر."

في الواقع ان المدة التى قضاها في بيونغ يانغ، وهي ليلتين وثلاثة ايام، لا تعدو كونها لحظة في مسيرة حياته المليئة بالتعرجات والتقلبات. لكن هذه اللحظة الواحدة اغنت حياته بطولها، بفضل القائد كيم جونغ ايل.

وبعد اختتام مراسم توقيع الاعلان الشمالى الجنوبى المشترك، جمع كيم داى جونغ مرافقيه كافة في مقر الاقامة، وافصح ما في قرارة نفسه

متأثرا، وقال لهم ان سيادة رئيس لجنة الدفاع الوطنى كيم جونغ ايل هو رجل عظيم حقا واطيب شخص انسانيا، ورجل موثوق أود العمل معه. وانه عظيم في الوقت الحالى، لكن آفاقه المستقبلية تكون اكثر اشراقا. وعندما أراه متحمسا ومفعما بالنشاط، تترسخ ثقتى بمستقبل الامة المشرق، فضلا عن آفاق الشمال الواعدة.

لحظة انتهاء زيارته الى بيونغ يانغ، قال كيم داى جونغ، للقائد كيم جونغ ايل، ما يدور في نفسه:

"ان تاريخى السياسى غير جدير بالذكر، وانا متقدم في السن، كما لم تبق من مدة ولاية حكمى الا سنتان وثمانية شهور. ومن هنا، فان الاعمال المستقبلية تتعلق كليا بكم، يا رئيس لجنة الدفاع الوطنى. اتمنى لكم ان تعالجوا كل الامور على الوجه المنشود، من منطلق الاعتناء بمصير ابناء الامة."

كانت تلك من المشاعر الصادقة لهذا السياسى المخضرم الملىء بالعذابات.

بروش اولبرايت

في النصف الثانى من تشرين الاول عام ٢٠٠٠، جاءت مادلين اولبرايت، وزيرة الخارجية الامريكية، الى بيونغ يانغ، بصحبة مائتى شخص ونيف من مرافقيها.

كانت كافية لادهاش العالم، حقيقة قيام وزيرة خارجية الولايات المتحدة الامريكية، التى تدعى بانها "الدولة العظمى الوحيدة"، بزيارة لكوريا لاول مرة في تاريخ العلاقات الكورية الامريكية. لكن العالم الذى كان يراقب تحركاتها وسلوكها عن كثب، وقع في ذهول متزايد مع مرور

الوقت. اذ رأى تغيراتها النفسية التى تفوق التوقع الى حد كبير، من خلال تكرار تبدل البروش لديها (دبوس صدر للزينة).

في اليوم الاول من وصولها، كانت تعلق على صدرها البروش على شكل العلم الامريكى. كان هذا البروش يرمز الى "وقار" الولايات المتحدة الامريكية، لأنه من المعروف عن اولبرايت انها كانت متميزة فى حياتها الدبلوماسية، باستخدام انواع مختلفة من البروش للتعبير عن "رسالة سياسية غامضة" مقصودة للتحكم بخصومها.

وفي اليوم التالى، التقاها القائد كيم جونغ ايل وتبادل معها الحديث. في جلسة المحادثات، قدم القائد لها اجابة واستنتاجا واضحا ارتجاليا للمسائل الدولية المعقدة والحادة، مثل العلاقات الكورية الامريكية، ولكل المسائل التى تهتم بها، مثل الاوضاع في منطقة آسيا والباسيفيك وشبه الجزيرة الكورية، ومسألة الصواريخ التى تثير قلق الولايات المتحدة، على حد قولهم.

تسربت من فم اولبرايت صيحة إعجاب بغير ارادة منها، ناسية انها في جلسة رسمية، وقالت:

"اننى مفتونة بكم للغاية، يا سيادة الرئيس، لانكم تقدمون لى اجابة دون اى عثرة."

كانت تلك صراحة صادقة، بعيدة عن المدح الدبلوماسى.

وتعبيرا عن ذلك، علقت اولبرايت البروش على شكل القلب، وحضرت المأدبة التى اقامتها على شرفه. يقال ان هذا البروش يعنى الاحترام والاجلال اللامتناهى للطرف الآخر.

قال كاتمان، المبعوث الخاص المضطلع بمحادثات الصلح في شبه الجزيرة الكورية، وهو احد مرافقى اولبرايت: "تشعر اولبرايت بالرضا التام عن نتائج زيارتها الاخيرة الى بيونغ يانغ. وعلى الاخص، اصبحت مولعة تماما بالرئيس كيم جونغ ايل".

كتبت اولبرايت، بعد عودتها، في التقرير المقدم الى بيل كلينتون، ما يلى:

"... يختلف القائد كيم جونغ ايل تماما عن ذلك الشخص الذى كنا نعتقده حتى الآن. نظرياته منتظمة ومنطقية جدا، ويتضلع تماما في المسائل الدولية المعقدة الراهنة، وصحيح في تحليلها وحكمها، وواسع الصدر وجرىء وحكيم في معالجة كل المسائل. انه يستمع الى كلام المخاطب حتى النهاية بكل حرص واهتمام، ويتحلى بالاريحية، حتى تطيب معه المحادثة، وبالتالى ينجذب المخاطب بعمق الى نظريات القائد كيم جونغ ايل وآرائه تلقائيا في اثناء الحديث. وهذا امر لا مراء فيه. ... خلاصة القول، لا بد لى من ان اعترف بنفسى بان القائد كيم جونغ ايل هو قائد موهوب جدا من كل النواحى، واضح فى نظرياته وراسخ في ايمانه، ومقدام ودقيق في كل المسائل الواسعة، السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والدبلوماسية."

حين توجهت اولبرايت الى المطار للمغادرة، بعد لقائها مع القائد كيم جونغ ايل لمدة ١٤ ساعة اثناء اقامتها القصيرة في بيونغ يانغ، كان بروش الراعى الذى يرمز الى السلام، يتألق على صدرها، عاكسا اشعة الشمس.

هدايا من بوتين

في شباط عام ٢٠٠٣، جرت في سفارة روسيا المعتمدة لدى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، مراسم نقل برقية التهانى والهدايا التى ارسلها رئيس الاتحاد الروسى بوتين، بحضور القائد كيم جونغ ايل. كانت هداياه هى ثلاثة خيول ذكور، تنتمى الى صنف اورولوف الاصيل في روسيا.

كانت هذه الخيول يعترف بها كواحدة من افضل خيول السباق في العالم، نظرا لذكائها وشجاعتها وقوتها. فيقال ان روسيا تراقبها بصرامة، للحيلولة دون انتشارها في البلدان الاخرى.

اذن، لماذا اعار الرئيس الروسى حظوة استثنائية للقائد كيم جونغ ايل وحده؟

في اواسط كانون الثانى من ذلك العام، حين تركزت انظار واسماع العالم على بيونغ يانغ، نظرا لاتخاذ كوريا اجراءات لانسحابها من معاهدة حظر الانتشار النووى، قدمت روسيا اقتراحا خاصا بارسال نائب وزير خارجيتها، كمبعوث رئاسى خاص، بغية مناقشة المسألة النووية.

لبى القائد كيم جونغ ايل طلبها، والتقى المبعوث الخاص ومرافقيه. في جلسة اللقاء، شرح له القائد بوضوح كنه المسألة النووية في شبه الجزيرة الكورية، وموقف كوريا المبدئى والثابت منها، وطريقة حلها، حتى تملك روسيا فهما صائبا لها.

فيما يستمع المبعوث الخاص، الذى عمل في الشؤون الدبلوماسية طوال حياته، الى كلامه ذى المغزى العميق، تأثر وتعجب جدا بفطنته بعيدة المدى، واساليبه الاستراتيجية الخارقة، وارادته الحديدية، وجرأته منقطعة النظير.

وبعد عودته الى بلاده، قام المبعوث الخاص بنقل ايضاحات القائد كيم جونغ ايل، الى رئيسه كما هي بالضبط. فقرر الرئيس بوتين، الذى اختبر عن كثب شيم القائد كيم جونغ ايل من خلال لقائه معه في بيونغ يانغ وموسكو وفلادفستك، ان يقدم الخيول من صنف اورولوف النادر الى القائد، كهدايا بمناسبة عيد ميلاده، مع برقية التهانى.

في الحفل، قال السفير الروسى للقائد بخشوع، ان من تقاليد روسيا ان يمتطي الجنرال العائد مظفرا حصانا أبيض، وان رئيسه قد اختار الخيول البيضاء من صنف اورولوف، وقدمها الى القائد الاعلى كيم جونغ ايل

كهدايا، فقط للتعبير عن مشاعره لاحراز القائد الاعلى انتصارات ونجاحات في كل الاعمال.

وقال الذين نقلوا الخيول، انهم اجهدوا أنفسهم لاختيار افضل الخيول وانسبها عمرا من بين خيول صنف اورولوف الاصيل والخاص في روسيا، لتتكيف مع الظروف الجديدة، وذلك بناء على اوامر رئيسهم. وبعد اختيارها، اعتنوا بها بكل عناية. واضافوا متأثرين انها المرة الاولى التى يؤدون فيها اوامر مشرفة كهذه، رغم عملهم مع الخيول طوال حياتهم.

E-mail: Flph@star-co.net.kp
http://www.naenara.com.kp

بيونغ يانغ ٠ كوريا
١٠٢ زوتشيه (٢٠١٣)

ISBN 978-9946-0-0939-1